سُلوكُ المَالِكْ في تَدبِير المَمَالِكْ

للأديب العلّامة
شهاب الدين أحمد بن محمد بن أبي الربيع
ت. سنة ٢٧٢ هـ

ألفه للخليفة
المعتصم بالله العباسي

حققه وقابله على أصله واعتنى بطباعته ونشره
صَاحِبُ السُّمُوِّ المَلَكِيِّ الأَمِير
عَبْدُالعَزِيز بن فَهْد بن عَبْدالعَزِيز آل سُعُود

دار العاذرية
للنشر والتوزيع - الرياض

ⓒ دار العاذرية للطباعة والنشر، ١٤١٦هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
أبو الربيع، شهاب الدين أحمد بن محمد
سلوك المالك في تدبير الممالك
تحقيق عبدالعزيز بن فهد بن عبدالعزيز
...ص، ...سم
ردمك ×-٠٢-٨١٠-٩٩٦٠
١- الاسلام والسياسة ٢- الخلافة ٣- الأخلاق الاسلامية
أ- آل سعود، عبدالعزيز بن فهد (محقق) ب- العنوان
ديوي ٢٥٧,١ ١٦/٠٠١١
رقم الإيداع: ١٦/٠٠١١
ردمك: ×-٠٢-٨١٠-٩٩٦٠

سُلوكُ المَالِكِ
في تَدبير المَمالِك

للأديب العلّامة

شهاب الدين أحمد بن محمد بن أبي الربيع

ت. سنة ٢٧٢ هـ

ألفه للخليفة

المعتصم بالله العباسي

حققه وقابله على أصله واعتنى بطباعته ونشره

صَاحِبُ السُّمُوِّ المَلَكيّ الأمير

عَبْد العَزيز بن فهد بن عَبْد العَزيز آل سُعُود

دار العاذرية للنشر والتوزيع - الرياض

الطبعة الأولى

١٤٣١هـ - ٢٠١٠م

دار العاذرية للطباعة والنشر والتوزيع

صندوق بريد ٦١٨٤٦ الرياض ١١٥٧٥

توزيع : الدار العربية للموسوعات

هاتف نقال: ٣٨٨٣٦٣ ٣ ٠٠٩٦١ - ٥٢٥٠٦٦ ٣ ٠٠٩٦١ - بيروت - لبنان

الموقع الإلكتروني: www.arabenchouse.com البريد الإلكتروني: info@arabenchouse.com

خالد العاني: مؤسسها ومديرها العام

بسم الله الرحمن الرحيم

عزيزي القارئ:

إنك متى ظفرت

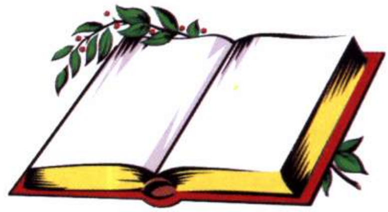
بهذا الكتاب المستطاب،

ظفرت بالذخائر النفيسة

بلا شك وارتياب



من تعليق الناسخ



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المحقق

★ ★

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله الأمين، المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد: فإن من بين الكتب القيّمة والنادرة التي تضمّها مكتبتنا الخاصة، صورة طبعة خطيّة غير متداولة، من كتاب مشجر بعنوان «سلوك المالك في تدبير الممالك - لابن أبي الربيع» كتاب جزيل الفائدة، يبحث في مختلف صنوف المعرفة، السياسية منها والاجتماعية والفلسفية... ويتطرّق إلى كثير من جوانب حياة الإنسان؛ العامّة منها والخاصّة، ويبيّن الطريق السوي الذي يسلكه المرء في تعامله مع نفسه وغيره، والأمور التي يجب أن يراعيها أو يتحرز منها كل معتنٍ بإصلاح أخلاقه ومحبٍ لكمال ذاته، ولمّا كان الكتاب مشجّراً، وبطريقة يصعب معها قراءة أشجاره واستيعاب أفكاره، فقد بحثتُ عن نسخ أخرى منه، فوجدتُ نسخة محفوظة في مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض، مصوّرة عن مكتبة باريس الوطنية وتحمل الرقم (٢٤٤٨)، ولكن هذه النسخة أيضاً كانت مشجّرة بطريقة أسوأ من النسخة الأولى. ونظراً لأهمية الكتاب، ورغبة مني في إخراجه من عالم الإهمال إلى عالم الأعمال، وجعله في متناول الجميع، فقد قرّرت بعد الإتكال على الله تعالى، إعادة طباعته بصورة تليق مع مكانته وقدره،

وبطريقة يسهل معها قراءة أشجاره واستيعاب أفكاره، وأثناء المقارنة بين النسختين (المخطوطة والمطبوعة) كنت إذا وجدت نقصاً أو اختلافاً بينهما، أخذت ما يتناسب مع المعنى وأثبتّه، مع الإشارة إلى ذلك الاختلاف أحياناً، وكنت أرمز إلى المخطوطة المصوّرة عن مكتبة باريس بحرف (خ)، وإلى الطبعة الخطيّة بحرف (ط).

ومع أن هدفي الأساسي من طباعة هذا الكتاب، هو إخراجه بصورة لائقة ومشوّقة، إلّا أنني لم أهمل التعليق على ما هو ضروري لفهم النص واستيعابه، أو شرح ما كنت أجده بحاجة إلى شرح أو توضيح. أما بالنسبة للتعليق على مضمون الكتاب وفحواه، فقد آثرتُ أن تكون ملاحظاتي عليه عامة، وفي هذه المقدمة التي أكتبها بين يدي الكتاب، وأترك للقارئ الكريم الحكم عليه بما فيه من أفكار وأقوال.

مؤلف الكتاب:

إن مؤلف هذا الكتاب، هو الشيخ الإمام، والعالم الأديب العلّامة: **أبو العباس شهاب الدين أحمد بن محمد بن أبي الربيع** يرحمه الله، والذي يعتبر أول فيلسوف إسلامي في العصر العباسي الأول، وقد ألّف هذا الكتاب للخليفة العباسي الثامن، المعتصم بالله بن هارون الرشيد، خلف الخليفة المأمون، كما ذكره في الفصل الأول من الكتاب، وكما ذكره صاحب كتاب «كشف الظنون»، وذلك حين كانت بغداد مركزاً حضاريًّا للعالم كله، ومجمعاً للعلماء والمفكرين والفلاسفة والمؤرخين، وكان شهاب الدين أديباً فصيحاً ومن رجال الخليفة المعروفين، وكانت وفاته سنة ٢٧٢هـ[١].

---

(١) انظر: الأعلام للزركلي ج١ ص٢٠٥، وكشف الظنون ج١ ص١٠٠٠، ومعجم المؤلفين ج٢ ص١٠١.

إلّا أن البعض قد شكك في نسب الكتاب إلى المؤلف المذكور، ومنهم (جورجي زيدان) الذي قال في كتابه «تاريخ آداب اللغة العربية»: «إن موضوع الكتاب وأسلوبه، يدلّان على أنه وُضع بعد ذلك التاريخ، لأنه مرتب على شكل مشجّر في أسلوب يدل على وضوح الأفكار في ذهن المؤلف، مما لا يتأتّى إلّا بعد نضج العلم نضجاً تامًّا، بالإضافة إلى أن اسم شهاب الدين من الأسماء التي لم تكن معروفة في زمن المعتصم، وإنما هو مما طرأ على الإسلام بعد رسوخ الأتراك في الدولة...» ثم قال بعد ذلك: «ولعل الخطأ وقع في تحريف اسم الخليفة الذي وُضع الكتاب له، فكان المستعصم الذي توفي سنة ٦٥٦هـ فقُرئ المعتصم، وكثيراً ما يتّفق ذلك في قراءة الخطوط»[١]. ومع أن هذه الاعتراضات التي أوردها (جورجي زيدان) لا تستند إلى أدلة قاطعة، فإني أفضل عدم الخوض فيها وأكتفي بما ورد في المخطوطات، وكذلك في المراجع المعتمدة، التي أثبتت نسب هذا الكتاب إلى (ابن أبي الربيع)، وأنه ألّفه للخليفة المعتصم وليس المستعصم، والله سبحانه وتعالى أعلم.

الخليفة المعتصم وملامح عصره:

يعلن المؤلف وبصراحة، أنّه إنما دوَّن هذه الدراسة بناء على طلب الخليفة العباسي المعتصم بالله. فمَن هو المعتصم؟ إنه محمد بن هارون الرشيد بن المهدي بن المنصور، أبو إسحاق، بويع بالخلافة سنة ٢١٨هـ، يوم وفاة أخيه المأمون، وبعهد منه، ومن صفاته التي ذكرها المؤرخون: إنه كان قوي الساعد، يكسر زند الرجل بين اصبعيه، ولا تعمل في جسمه الأسنان، وكره التعليم في صغره، فنشأ ضعيف القراءة يكاد يكون أميًّا[٢]،

(١) تاريخ آداب اللغة العربية، جورجي زيدان، طبعة سنة ١٩٨٣، ص٥٢٤.

(٢) انظر: الاعلام للزركلي ج٧ ص١٢٧.

قال ابن كثير: «قالوا إن المعتصم كان أميًّا لا يحسن الكتابة، وكان سبب ذلك، أنه كان يتردّد معه إلى الكُتّاب «موضع التعليم» غلام، فمات الغلام، فقال له والده الرشيد: ما فعل غلامك؟ قال: مات فاستراح من الكُتّاب، فقال الرشيد: وقد بلغ منك كراهة الكُتّاب أن تجعل الموت راحة منه، فتركوه فكان أميًّا»(١). كانت أمّه تركية، مما يزيده جهلاً في العربية وعلومها، كما كان ذلك سبباً في استخدامه خلقاً كثيراً من الأتراك، حتى قيل إنه كان يملك سبعين ألف مملوك. كانت همّته في الحروب عالية، كما كانت له مهابة عظيمة في القلوب، فإذا غضب لا يبالي من قتل ولا ما فعل، وكان يسعى إلى تأسيس دولة واسعة الأرجاء، فهو فاتح عمورية (من بلاد الروم الشرقية) وخبر فتحه لها مشهور حتى على ألسنة الشعراء.

والخليفة المعتصم - ولأنه كان محدود الثقافة والعلم - فقد عُرف عنه تقبّل النصيحة، والميل إلى سماع آراء الآخرين، وتقليد مَن سبقه من الخلفاء، وممّا يؤيد هذا القول: اتباعه نهج أخيه المأمون في الصراع الذي دار واحتدم بين أهل السنة والجماعة من جهة، وبين المعتزلة من جهة أخرى، خاصة في مسألة (خلق القرآن)، والمعروف عن المأمون، أنه كان على نقيض المعتصم من حيث الثقافة والعلم، حيث كانت ثقافة المأمون واسعة، وولعه بالفقه وآداب اللغة والفلسفة وغيرها شديد، فشجّع على نقل العلوم، وأمر بترجمة ثقافات الحضارات الأخرى، ورصد لذلك أموالاً طائلة، وكان من أشد أنصار المعتزلة، يدين بآرائهم وطرائقهم الفلسفية، وقصة حبسه وتعذيبه للإمام (أحمد بن حنبل) في مسألة خلق القرآن معروفة، فلما ولي المعتصم، سار على نهج أخيه، مع أنّه لم يكن يحب الخوض في مثل هذه المسائل الكلامية، فكان يقول كلما اتهم أشياعه الإمامَ بالكفر: «ناظروه، ناظروه...» لا يزيد على

(١) البداية والنهاية لابن كثير ج١، ص٣٤٧.

ذلك، و«لعل ذلك راجع كما ذكرنا إلى ضعف ثقافته وقلّة حظّه من العلم» حتى خرجت هتافات الناس بسقوطه، وأوشكت الثورة أن تشتعل في بغداد، بينما كان يستعد لجهاد الروم، فلعن الجميع وأمر بالعفو عن الإمام[١].

مضمون الكتاب:

يحتوي هذا الكتاب على أربعة فصول، ذكرها المؤلّف بعد بيان الدافع على تصنيفه هذا الكتاب - حيث وضعه بناء على رغبة الخليفة العباسي المعتصم - ويضمّ العناوين والفصول التالية:

الفصل الأول: في مقدمة الكتاب: تحدّث في بدايتها عن علاقة السببية، وخلص إلى نتيجة أن سبب الأسباب موجود وهو واحد وهو الله تعالى، وأن الأليق بسبب الأسباب وموجدها أن يُطلق عليه أفضل الأوصاف، كما بيّن فيها مراتب الإنسان وأنواع الأفعال وحدود المسؤولية الفردية، ثم رسم شجرة أوضح من خلالها خصائص الإنسان الكامل، التي إن تمسّك بها ملك أو سلطان، خنع له الأعداء وخضعت له الأمم، وانقادت له الممالك وذلّت له السادات، وهي عنده ثلاث عشرة خصلة، ثم ختم مقدمته عن الخليفة المعتصم، الذي هو بنظره نموذج للإنسان الذي اجتمعت فيه الخصال الموجبة للخلافة والإمامة.

والفصل الثاني: في أحكام الأخلاق وأقسامها: ميّز في بدايته بين الإنسان والحيوان، فالإنسان ذو فكر وتمييز يختار من الأمور أفضلها ومن المراتب أشرفها، كما أوضح فيه كيفية اكتساب الأخلاق الفاضلة،

---

(١) أئمة الفقه التسعة (الإمام أحمد بن حنبل: المفترى عليه)، عبد الرحمن الشرقاوي ص١٦٥، ٢٢٤، ومما ذكره: أن الإمام أحمد رحمه الله لما علم بانتصار المعتصم على الروم وفتحه عمورية، ترحم عليه، وقال عفا الله عنه بما جاهد في سبيله.

ومراتب الإنسان في قبولها، وأنواع الفضائل والأخلاق، وعللها وأسبابها، وكيفية اكتسابها، واختلاف جواهر الناس فيها، فذكر الفضائل التي لا نحتاج في اقتناء كمال النفس إلى غيرها، وهي عنده أربعة: (الحكمة والعفّة والشجاعة والعدالة) وبيّن قوام كل منها، كما عرّف بعض المفاهيم الأساسية التي يجب معرفتها لتقييم السلوك وهي (الخير، والشر، والضار، والنافع)، ثم بيّن القوى المتحكّمة في النفس البشرية، وهي عنده ثلاثة: (القوة الفكرية، والغضبية، والشهوانية) فبيّن خصائصها، ومواضعها، وفضائلها، والرذائل الصادرة عنها، وضرب عليها أمثلة متعدّدة. كما ذكر اختلافات العلماء في الفرق بين السجايا والأخلاق، وبين الطبع والتطبّع، واختلافهم في الفضائل هل تُراد لذاتها أو للسعادة الحاصلة عنها، وأسباب اختلاف الناس في أخلاقهم، كما بيّن أقسام السعادة وأنواع الخيرات وأهداف الفضائل، وبعض أعضاء الإنسان كالدماغ والكبد والقلب ووظائفها. وقد أبرز كل ذلك في جداول مشجرة غاية في الإبداع والإتقان، وقد حرصتُ على إظهار هذه الجداول والأشجار، بطريقة يسهل معها الاستفادة الفائقة من مضمونها.

والفصل الثالث، في أصناف السيرة العقلية الواجب على الإنسان اتباعها والعمل بها: بيّن فيه أقسام المخلوقات وهي عنده أربعة أقسام: (الملائكة والإنسان والحيوان والجماد). ثم تطرّق إلى بيان علاقة الترابط بين العقل والعلم والعمل، فقسم العلم إلى ثلاثة أقسام: (العلم الأعلى وهو العلم الإلهي، والعلم الأوسط وهو علم الرياضيات، والعلم الأسفل وهو علم الطبيعيات) ثم ذكر أرباب كل علم وفضله وأقسامه، وقد قسّم كل قسم منها إلى عدّة أقسام وفروع وعناصر. ثم قسّم الناس إلى رُتَب وطبقات ثلاث، وكل إنسان يجد نفسه في رتبة يشركه فيها طائفة منهم وهم أكفاؤه، ويجد مَن يفضله وهم العظماء، ومَن هم أوضع منه وهم الأوضعون. ثم تكلّم عن سيرة الإنسان، وما يجب عليه في حق نفسه

وبدنه، وكذلك سيرته في ماله وزوجته وولده وعبده، فبيَّن ما يجب على الإنسان في حق هذه الجماعة، كما بيَّن سيرة الإنسان مع أهل نوعه، وهم أكفاؤه ومَن هم فوقه ومَن دونه، وقد غصّ هذا الفصل بالرسومات والأشجار، التي وجدت صعوبة شديدة في محاولة إبرازها بشكل لا يؤثر على جمال إخراجها.

والفصل الرابع والأخير: في أقسام السياسات وأحكامها: بيّن فيه السبب الموجب لاتخاذ المدن والعمران، والداعي إلى إقامة السياسة في العالم، فهو هنا يرى أن الإنسان اجتماعي بطبعه، يحتاج إلى غيره لسد حاجاته، فالحاجة للغذاء والكساء، والمسكن والملبس، والزواج والعلاج، تجعل الناس يجتمعون مع بعضهم وتكوين الدولة، التي وجدت بنظره لفض المنازعات وتنظيم الأمور، ونلاحظ أن هذه النظرة شبيهة بنظرة «أفلاطون»، وكأنّه سار على نهجه ولكنه وتحت تأثير الدين أدخل مفاهيم إلهية ومزجها بآرائه فقال: إن الله خلق الإنسان بطبعه يميل إلى الاجتماع. ثم بيّن أركان الدولة وهي عنده أربعة: (الملك والرعية والعدل والتدبير). حيث يرى أن الله تعالى، قد خصّ الملوك بمكانة عالية، توجب على الكل احترامهم وتبجيلهم، وأن الملك محتاج إلى ستة عناصر وهي: (الأبوة - أي يكون من أهل بيت الملك - والهمة الكبيرة، والرأي المتين، والمصابرة على الشدائد، والمال الكثير، والأعوان الصادقين). كما تكلّم عن مجموعة من السياسات تخص الملك وهي: (سياسة نفسه وبدنه وخاصته وجمهور رعيته، وكذلك قواعد سياسة الحروب والتعامل مع العدو) كما بيّن أخلاقيات الممارسة السياسية للحاكم، وما يجب أن يتحلّى به أو يحترز منه ويتعامل معه بالحيطة والحذر. ثم قسّم الرعية إلى عدّة أقسام وفروع، من حيث أخلاقياتها ووظائفها، وقواعد العلاقة المتبادلة بينها وبين الحاكم، وما يجب على كل منهما تجاه الآخر. ثم تكلم عن العدل: الذي هو حكم

الله تعالى في أرضه، فأوضح مقوماته ومبناه، وقسّمه إلى ثلاثة أقسام، كما ذكر بعض صفات الإنسان العادل ومنها: (الوفاء، والصدق، وعدم مخالفة السنن). وقد أبدى في نهاية هذا الفصل اهتماماً كبيراً بالتدبير، وذلك على اعتباره رباطاً وواسطة بين الحاكم والرعية، فالملك بنظره لا يستطيع لوحده تدبير شؤون مملكته، فلا بد من أعوان وأتباع يساعدونه ويدبرون الأمر معه، ومنهم: (الوزير، والكاتب، والحاجب، والقاضي، وصاحب الشرطة، والجنود والولاة... وحتى الجليس، وصاحب الطعام والشراب)، وقد بيَّن وبالتفصيل والبيان المشجّر، الشروط الواجب توفرها في كل أولئك الذين يساعدون الملك أو يدبرون الأمر معه، وختم كتابه بذكر بعض الوصايا والنصائح التي وردت على ألسنة بعض الحكماء والعلماء.

التعليق على الكتاب:

قلتُ فيما سبق: أنّ التعليق على هذا الكتاب سيكون في غالبه في هذه المقدمة، وذلك لعدّة أسباب، من أهمها أن الهوامش الطويلة تُذهب بهجة الرسومات والأشجار، وتخلّ بالمقصود منها، وأهم الملاحظات ما يلي:

(١) **الملاحظة الأولى**: تتمثّل في كون الكتاب منقولاً في كثير من فروعه، عن طائفة من العلماء والفلاسفة والمفكرين، فقد ذكر المؤلف في مقدمة الكتاب (... إن المصنفات الموجودة في هذا الفن، أعني علم الأخلاق والسير وما يتعلق بها، تتجاوز حدود الكثرة وتتشعّب أنحاؤها وتختلف طرقها حتى يكاد يتعذّر إحصاؤها، فتأمل المملوك - أي المؤلف نفسه - ما وجد من الكتب في هذا العلم تأملاً شافياً، وانتزع منها ما كان قابلاً للتشجير والتقسيم...) «انظر ص٢٧ في هذا الكتاب»، كما ذكر مثل ذلك في خاتمة الكتاب، انظر ص١٩٣. ولا يعني ذلك التقليل من شأن الكتاب أو مضمونه، وإنما هي ملاحظة قد تبرِّر سبب اشتمال الكتاب

على أكثر من فن من فنون المعرفة، حيث انتزع المؤلف من كل كتاب من تلك الكتب، ما كان صالحاً للتشجير والتقسيم، وأثبته في كتابه، فخرج الكتاب مشتملاً على الكثير من أنواع العلوم والفنون والمعارف.

(٢) **الملاحظة الثانية**: وتدور حول تأثر ابن أبي الربيع بالآراء الفلسفية والمفاهيم الاعتزالية والمنطق وعلم الكلام، وذلك حين نراه يخضع كل ظاهرة لتحليل وكل واقعة لسبب وكل سبب لمنطق، وكذلك في تقسيمه العلوم على طريقتهم إلى: علم أعلى (وهو العلم الإلهي) وعلم أوسط (وهو علم الرياضيات) وعلم أسفل (وهو علم الطبيعيات)، وغيرها من المواضيع التي تشعر من خلالها بمدى تأثّر الكاتب بتلك العلوم. والمعروف أن الفرق الكلامية، والتي أعطت العقل منزلة عظيمة ومكانة عالية، ازدهرت في عهد الخليفة المأمون، الذي أشرف على حركة ترجمة علوم اليونان وغيرها، وكان أحرص الناس عليها، وحثّ الكل على دراستها، وتبنّى مذهب المعتزلة ودافع عنه وحارب مَن اعتنق سواه، فنالت تلك العلوم رواجاً عامًّا وازدهاراً كبيراً، فلم ينجُ عالم في ذاك الزمان من أشرارها سواء المؤيد لها أو المعارض لمنطقها. ولكن ما رأي أهل السنّة والجماعة في هذا النوع من العلوم؟ لقد تناول كثير من العلماء تلك البحوث الفلسفية والمنطقية بالنقد والتجريح، فمثلاً: كان الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه قد رفض الحوار أو التفكير في علم الكلام، وحث الناس على ألّا يتناولوا من أمور الدين إلّا ما جرت عليه السنّة وآثار الصحابة، فقال: «لا أرى الكلام إلّا ما كان في كتاب أو سنّة أو حديث من رسول الله ﷺ أو عن أصحابه، أما غير هذا فإن الكلام فيه غير محمود»[١].

وقال شيخ الإسلام أحمد بن تيمية: «إني كنت دائماً أعلم أن المنطق

(١) الإمام أحمد المفترى عليه، عبدالرحمن الشرقاوي ص١٨٦.

اليوناني لا يحتاج إليه الذكي ولا ينتفع به البليد»[1]، وقال في معرض ردّه على تقسيمهم العلوم كما ذكرها مؤلّف هذا الكتاب: «إن تقسيمهم العلوم إلى: الطبيعي والرياضي والإلهي، وجعلهم الرياضي أشرف من الطبيعي والإلهي أشرف من الرياضي، هو مما قلبوا به الحقائق، فإن العلم الطبيعي - وهو العلم بالأجسام الموجودة في الخارج، ومبدأ حركاتها، وتحولاتها من حال إلى حال، وما فيها من الطبائع - أشرف من مجرد تصوّر مقادير مجرّدة أو أعداد مجرّدة...» ثم قال: «أما العلم الإلهي الذي هو عندهم مجرّد عن المادة في الذهن والخارج، فقد تبيّن لك أنه ليس له معلوم في الخارج، وإنما هو علم بأمور كلية مطلقة لا توجد كلية إلّا في الذهن، وليس في هذا من كمال النفس في شيء... وإن كمال النفس بمعرفة الله مع العمل الصالح، لا بمجرد معرفة الله ، فضلاً عن كونه يعرف بمجرد علم الفلسفة»[2]، وهكذا رأيه في كثير من المواضيع التي أوردها المؤلف على ألسنة الفلاسفة والمتكلمين.

(٣) **الملاحظة الثالثة**: وهي على مفاهيم ابن أبي الربيع فيما يتعلق بأمور الحكم: فمع أنه استطاع أن يقدم لنا نظرية شبه متكاملة في أمور التدبير، إلّا أن الكثير من آرائه فيما يتعلق بأمور الحكم ونشأة الدولة وشؤون الحكم، تبقى تعكس نهجاً فلسفيًّا، استوحى الكثير منه من آراء أفلاطون وغيره من الفلاسفة، وأضفى على تلك الأفكار الصبغة الإسلامية، كما أن تلك الأفكار قد تكون ملائمة لواقع سياسي معيّن عاشه المؤلف أيام المأمون والمعتصم، ولكنها بنظري ليست المعايير الوحيدة لقياس مدى صلاح الحكم ونجاحه. ولا شك أنه سيكون لأفكاره تلك فائدة أعظم، لو وضع لها أصولاً وأسس لها جذوراً،

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية، ج٩، ص٨٢.

(٢) الرد على المنطيين، لابن تيمية، الصفحات ١٣٣- ١٣٨.

مستوحاة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، كتلك التي بنى عليها ابن تيمية أفكاره في كتابه (السياسة الشرعية)، الذي يشتمل على أسس الحكم العادل والولاية الصالحة، ويبرز القواعد والأصول الكلية المدعومة بالأدلة الشرعية، الذي مزج فيه الوعظ والإرشاد بالأحكام الفقهية المستندة إلى الأدلة الشرعية، إن هذا النهج يبقى - بنظري - أحق بالعناية وأجدر بالاهتمام.

عملي في الكتاب:

يتلخص أهم ما قمت به من عمل في هذا الكتاب بما يلي:

(١) إعادة رسم وإخراج أشجار الكتاب، بطريقة صحيحة ومشوقة وملونة، وذلك بعد أن كانت أشجاره متداخلة، ورسوماته في غالبها مقلوبة.

(٢) كتبت مقدمة للكتاب ضمّنتها هدفي من تحقيقه، وفكرة عن مؤلف الكتاب ابن أبي الربيع، والشبهات التي حامت حول نسب الكتاب إليه، وكذلك فكرة عن حياة وعصر الخليفة المعتصم، الذي كتب المؤلف هذه الأفكار والوصايا له، وتكلّمت فيها عن مضمون الكتاب وفحواه، فلخّصتُ فصوله، ثم علّقت عليه بملاحظات ثلاث، لا أعتقد أنها كل الملاحظات المطلوبة، وقد آثرت أن يكون موضع هذه الملاحظات هنا - في المقدمة - لئلا أثقل هوامش الكتاب بكلام سيحول قطعاً دون ظهور الرسومات والأشجار بشكل كامل ولائق، واكتفيتُ بذكر القليل من الكلام في تلك الهوامش للسبب نفسه.

(٣) قمت بتثبيت النص الصحيح، وذلك بالرجوع إلى النسختين المتوفرتين لدي ومقارنتهما، وأخذ ما يتناسب مع المعنى منهما.

(٤) ضبطتُ الآيات القرآنية بالشكل وعزوتها إلى أماكنها في القرآن الكريم، وخرّجت حديثاً واحداً لم أجد في الكتاب غيره.

(٥) أضفتُ بعض العناوين الضرورية للفصول أو الفروع لتوضيح مضمونها، مع الإشارة إلى تلك الإضافات في الهامش.

(٦) شرحتُ ما وجدته بحاجة إلى شرح وتوضيح، علماً بأني لم أغيّر في الكتاب حرفاً واحداً، بل حرصتُ على إثبات كل كلمة نقصت منه، حيث أن الأمانة العلمية تحتّم عليّ اتباع ذلك.

(٧) وضعتُ في نهاية الكتاب فهرساً للموضوعات، وذلك ليسهل على القارئ الرجوع إلى ما يستهويه ويروق له من الموضوعات. ومع ذلك فإني لا أزعم الكمال فيما قمتُ به من عمل، أو أني وفيتُ الكتاب حقّه من التحليل والتمحيص، ولكني بذلتُ فيه جهداً، أرجو أن أكون قد يسرتُ على القارئ الكريم الإفادة من مضمونه، ومن رسوماته وأشجاره الفريدة والمشوقة، والتي اجتهدتُ أن تكون على أبهى صورة وأفضل نسق، سائلاً الله تعالى أن يتقبّل منّي هذا الجهد على ما فيه من التقصير، وأن يجعله خالصاً لوجه الكريم، إنه نعم المولى ونعم النصير.

والحمد لله رب العالمين

كتبه

عبدالعزيز بن فهد بن عبدالعزيز

آل سعود



كتاب سلوك المالك في تدبير الممالك

تاليف الشيخ الامام العالم العلامة

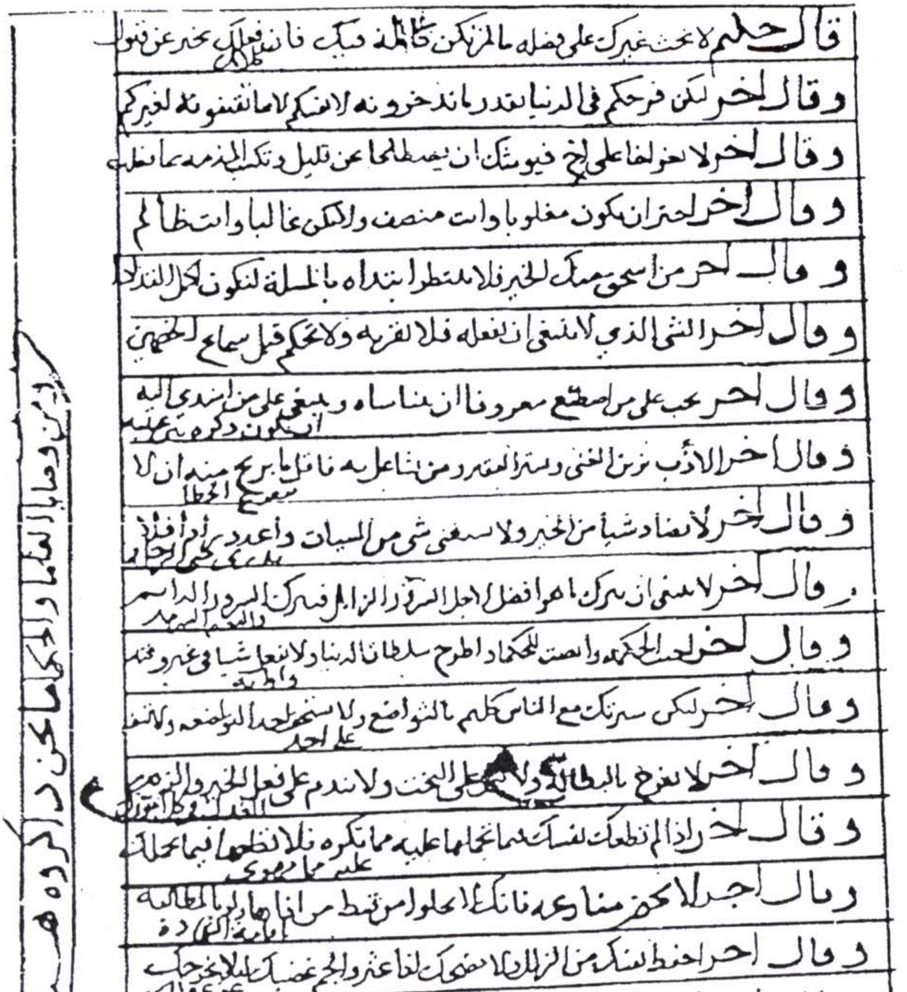
ابي العباس احمد بن محمد

ابن ابي الربيع الحكيم

رحمه الله تعالى

امين

غلاف المخطوطة الباريسية التي تحمل الرقم ٢٤٤٨ الموجودة في مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض



هذا ما حكي من الحكماء والعلماء ومن ...

قال حكيم لا تحتقر غيرك على فضله ما لم يكن كالمذنب فانك ان فعلت ذلك تخرج عن قبول كلامك

وقال آخر لئن فرحتم في الدنيا بقدر ما تدخرونه لانفسكم لا ما تقتنونه لغيركم

وقال آخر لا تعول كثيرا على اخ فيوشك ان ينحط لها عن تليل وتكسب المذمة بما تطلب

وقال آخر احذر ان تكون مغلوبا وانت منصف ولكن غالبا وانت ظالم

وقال آخر من استحق منك الخير فلا تنتظر ابتداءه بالمسالة لتكون اكمل التذلل

وقال آخر الشيء الذي لا ينبغي ان تفعله فلا تقربه ولا تحكم قبل سماع الخصمين

وقال آخر يجب على من اصطنع معروفا ان ينساه ويجب على من اسدي اليه ان يكون ذكره نصب عينيه

وقال آخر الادب زين الغني وستر الفقير ومن شاغل به فاقل ما يربح منه ان لا يقع في الخطا

وقال آخر لا تعاد شيئا من الخير ولا تستغن شيء من السيئات واعدد ...

وقال آخر لا ينبغي ان يترك ما هو افضل لاجل السرور الزائل فيترك السرور الدائم والنعيم المؤبد

وقال آخر احب الحكمة وانصت للحكماء واطرح سلطان الدنيا ولا تفعل شيئا في غضب وحمية

وقال آخر لتكن سيرتك مع الناس كلهم بالتواضع ولا تستحقر احدا ... على احد

وقال آخر لا تفرح بالبطالة ولا ... على البخت ولا تندم على فعل الخير والزم ...

وقال آخر اذا لم تطعك نفسك فيما تحملها عليه مما تكره فلا تطعها فيما تحملك عليه مما تهوى

وقال آخر لا تكثر منازعة فانك لا تخلو من تسلط من ... ادامة ...

وقال آخر احفظ نفسك من الزلل ولا تضحك لكل ... والجم غضبك لئلا يخرجك عن عقلك

وقال آخر احذر ان تذكر شيئا في خلوة او مع غيرك ولتكن استحياؤك من نفسك اكثر

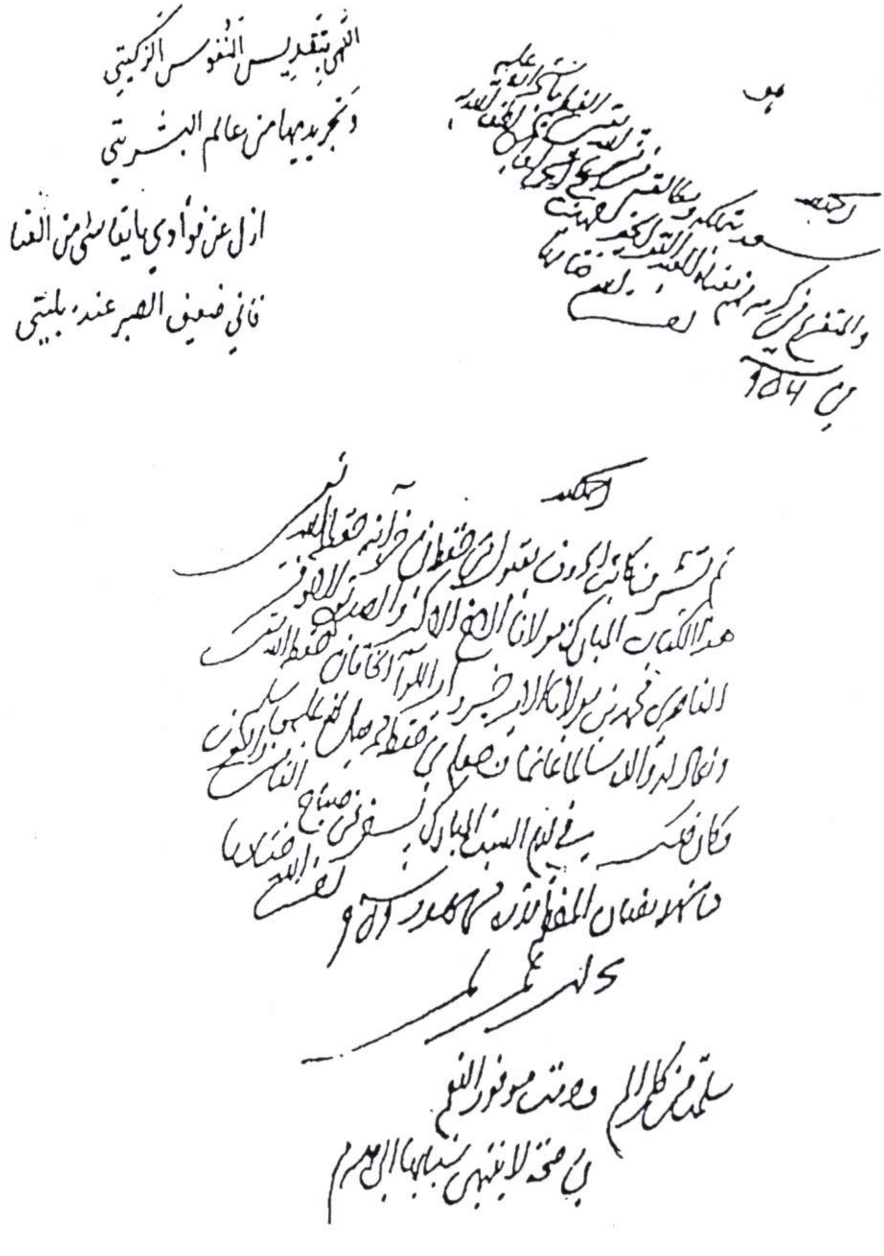
وقال آخر اذا سمعت كلاما جيدا او رديا فلا تنقص من سامعه وان كان لا ...

وقال آخر اذا سمعت كلاما جيدا او رديا فلا تنقص من سامعه وان كان لا ...

وقال آخر كلما عزرت نفسك عليه فلا تلم لغالب على فعله واذا فعلت فعلا وظهر لك رداءته فلا تعاوده

وقال آخر من التمس الرخص في المشورة من الاخوان ومن الاطباء عند المرض ومن الفقهاء عند الشبهة فقد اخطأ الرأي

من صفحات المخطوطة



الصفحة الأخيرة من المخطوطة

مُستهلاً لما أخذه مؤكّداً له ملخّصاً لمبسوطه جامعاً لمتفرّقه ۞ وهو

يسأل من الكريم بسط عذره فيما قصّر فيه ۞ وحمله على باطن الضمير

دون ظاهر التقصير ۞ فما زال استفراغ الوسع مقيلةً للعذر

والاعتراف بوجوب الحقّ مانعاً من تطرّق العتب ۞ مؤلّفه

۞ العلّامة شهاب الدين أحمد بن محمّد بن أبي الربيع ۞ تغمّده الله تعالى

برحمته ورضوانه ۞ وغفر له ولكاتبه

ومستكتبه ومن كتب من أجله ولوالدي كلٍّ والمسلمين أجمعين

وصلّى الله على سيّدنا محمّدٍ وآله وصحبه أجمعين

والحمد لله ربّ العالمين ۞

راقمه محمّد على الخراساني بتاريخ شهر

شعبان المعظّم سنة ١٢٨٦

الصفحة الأخيرة من الطبعة الخطية

مقدمة المؤلف

★ ★

الحمد لله الذي خلق الإنسان في أحسن تقويم وعدَّله، ورفعه على كثير ممن خلَق بالتكريم وفضَّله، وأمره بمكارم الأخلاق، تزكية لنفسه التي خلقها فسوَّاها، حيث قال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾[1]، وشرَّفه بميزة العقل، ووهب له حلية الفضل، وعرَّضه لبلوغ السعادة بإدراك الحق.

أحمده حمداً لا يغادر معروفاً إلّا استوفاه، ولا يجاوِر مَخُوفاً إلّا نفاه، وأُصلّي على رسوله محمد الذي أرسله بدين الحق القويم، فدعا الناس أجمعين إلى صراط مستقيم، وجاهد في الله حق جهاده، وقام بطاعته، حتى وصفه في كتابه القديم، فقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[2]، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، والتابعين له في مكارم أخلاقه، وشيمه وآدابِه، والحمد لله الذي جعل بعد رُتْبَة النبوة - أشرف الرُّتب وأعلاها، وأكرمها لديه وأنماها، وأزلفها عنده وأحظاها، - رتبة الخلافة، إذ كانت عن الله عز وجل ورسوله صادرة، وبأوامرهما واردة، فَنَجم الحق منها ساطع الإشراق، وشهاب العدل وارى الزناد في الآفاق،

(١) سورة الشمس: [الآية رقم: ١٠].

(٢) سورة القلم: [الآية رقم: ٤]

والإسلام في ظلّها ممتد الأفياء والظلال، مشرق بنور بهائها في الغدو والآصال... وبعد:

فإن الذي بعث المملوك[1] على تأليف هذا الكتاب أمران:

أما الأول:

فإنه وقف على كتاب مُشجَّر في حفظ صحة البدن مختصر، ولا خفاء على كل ذي فطانة، ومَن له أدنى نظر في العلوم الحقيقية، أن النفس أشرف من البدن، فمراعاتها إذاً وإصلاح أخلاقها الصادرة عنها، وتزكيتها بالعلم والعمل، من أهم الأسباب وأحرى بالتقديم عند ذوي الألباب.

والثاني:

إن بعضَ منْ أوامره مطاعة مجابة[2]، وعوارض العوائق عن ملتمساته منحسرة منجابة، ممن اصطفاه الجناب المقدس وقدَّمه، ورفعه على أمثاله وكرَّمه، فحاز بذلك المقام المحمود شرفاً باقياً وحسباً، وأوتي من كل شيء فأتبع من مناهج الشِيَم المرضيَّة سبباً، واختص بخصائص تهتزُّ لها أعطاف القلوب فرحاً وطرباً:

تجمَّعَت لعُلاهُ كُلُّ منْقَبَةٍ وهو البليغُ إذا ما قَالَ أو كتَبَا
وكمْ لَهُ مِن مَعَانٍ راقَ مسْمَعُها ومن فُنونِ خُطُوطٍ أبْدَعَتْ عَجَبا

أمره أن يمضي ذلك الرأي، في إنشاء الكتاب المقدم ذكره، وأن يوليه طرفاً من العناية والإنصاف، فجمع بين ما يعتقده من وجوب الأوَّل في إنشائه إلى امتثال طاعة أمره بذلك.

وظاهر أن المصنفات الموجودة في هذا الفن - أعني علم الأخلاق

---

(١) يعني بذلك المؤلف نفسه.

(٢) يعني بذلك الخليفة المعتصم بالله.

والسير، وما يتعلّق بها - تُجاوِزُ حدود الكثرة، وتتشعّب أنحاؤها، وتختلف طُرقها، حتى يكاد يتعذّر إحصاؤها، فتأمل المملوك ما وجد من الكتب في هذا العلم تأملاً شافياً، وانتزع منها ما كان قابلاً للتشجير والتقسيم، على أن فوق كل ذي علم عليم، وتحرّى فيه الإيجاز والاختصار، واطَّرح الأكثر حذر الإضجار، وجمع فيه بين كلام الحكماء المتقدمين، والعلماء المتأخرين، وبدأ به مستعيناً بالله تعالى على عمله، مستمدًّا من إرشاده وتوفيقه، وهو عزَّ اسمه مؤتيه ذلك بقدرته، وطَوْله ومشيئته.

ومبنى هذا الكتاب على أربعة فصول:

الفصل الأول: في مقدمة هذا الكتاب.

الفصل الثاني: في أحكام الأخلاق وأقسامها.

الفصل الثالث: في أصناف السيرة العقلية وانتظامها.

الفصل الرابع: في أقسام السياسات وأحكامها.

الفصل الأول

في مقدمة الكتاب

★ ★

الواجب على كل إنسان الابتداء به، هو أن يعلم ويعتقد، أنّ لهذا العالم وأجزائه صانعاً، بأن يتأمّل الموجودات كلها، هل لكل واحد منها سبب وعلّة أم لا؟ فإنه يجد عند الاستقراء[1]، لكل واحد منها سبباً وعلّة عنه وُجِد.

ثم ينظر إلى تلك الأسباب القريبة من الموجودات، هل لها أسباب أيضاً أم لا؟ فإنه يجد لها أسباباً. ثم يتأمّل وينظر، هل الأسباب ذاهبة إلى ما لا نهاية له، أم هي واقفة عند نهاية؟ أم بعض الموجودات أسباب للبعض على سبيل الدور؟ فإنه يجد القول بأنها ذاهبة إلى غير نهاية محالاً، ويجد القول بأن بعضها سبب للبعض على الدور محالاً أيضاً، لأنه يلزم أن يكون الشيْ سبباً لنفسه، فتبقى الأسباب متناهية، وأقل ما يتناهى إليه الكثير هو الواحد، فسبب الأسباب موجود وهو واحد، والعبارة عنه بما وجد السبيل إليه من الألفاظ والأوصاف.

---

(١) الإستقراء في اللغة «التتبع» من استقرأ الأمر إذا تتبعه لمعرفة أحواله. والاستقراء عند المنطقيين هو: الاستدلال بالجزئيات على الكلّي أو الحكم على كلي لتحقق ذلك الحكم في جزئياته، فإن كان في جميع الجزئيات كان الاستقراء تامًّا وهو عندهم يفيد اليقين، وإن كان ناقصاً لم يُفِد اليقين - المعجم الفلسفي - جميل صليبا، ج١ ص٧١ وما بعدها.

فلما أراد العبارة والوصف له، علم أنه لا يلحقه شيء من جميع الأوصاف التي شاهدها وعلِمها، لتَفرّده بذاته، ولأنه منزَّه عن كل ما أحسَّه وعرفه، ولم يجد طريقاً أحسن من أن ينظر في الموجودات التي لديه، فإذا تأمَّلها وجدها صنفين: فاضل وخسيس.

ووجد الأليق بسبب الأسباب وموجدها - الواحد الحق-، أن يطلق عليه أفضلهما. مثل أنه رأى الموجود والمعدوم، وعلم أن الموجود أفضل من المعدوم، فأطلق القول عليه بأنه موجود، ورأى الحيَّ وغير الحيّ، وعلِم أن الحيّ أفضل، فأطلق عليه القول بأنّه حيّ، ورأى العليم وغير العليم، فأضاف إليه العلم... وكذلك جميع الأوصاف.

والواجب عليه إذا أراد صفته تعالى، أن يخطر بباله أنه منزَّه عن أن يُشبه تلك الصفة، بل هو أفضل منها وأشرف وأعلى، لأنه سبب وجود كل صفة وموصوف[(١)].

ثم إذا تأمَّل أجزاء العالم كلّها، وجد أفضلها ما هو ذو نفس، ويجد أفضل ذوي الأنفس، الذي له الاختيار والإرادة والحركة عن رويّة، وأفضل ذوي الإرادة والحركة عن رويّة الذي له النظر البليغ في العواقب، وهو الإنسان الفاضل.

وأنْ يعلم أنَّ الطبيعة لا تفعل شيئاً عبثاً ولا باطلاً، فكيف مبدع الطبيعة وموجدها!؟ والباري تعالى حيث وهب الاختيار والرويّة والفكر للبريّة، لم يكن ليهمل أمرها، وكان من عدله[(٢)] أن ينهج لها نهجاً تسلكه.

وظاهرٌ أنَّ في الناس وعقولهم وقوى أنفسهم تفاضلاً بيِّناً، حتى أن الواحد منهم، يفوق بالفن الواحد جميع ذوي جنسه ويعجز الباقون عنه،

---

(١) سقطت كلمة (موصوف) من (ط).

(٢) في (خ): وكان من الواجب في عدله.

(فاقتضت حكمته أن يجعل فيهم من أفضلهم، واسطة بينه وبينهم، يلقي إليه ما ينتظم به أمر معاشهم ومعادهم، ويقدره على إبلاغهم) حتى يقوم[1] بتبليغ ما يلقى إليه، ويقدر بتلك القدرة وذلك الإلهام، على إيضاح السبيل الداعية إلى الحق.

ثم ينبغي أن يعلم، أن المكافأة من فضله واجبة، وأنها إنما تجب في الأعمال المقرونة بالنيات، والدليل على ذلك: أن المرء لا يجازى على ما يعمله في نومه، ولا على ما ليس بإرادته واختياره، مثل: سعاله وعطاسه، وحياته وموته، ولا على اغتدائه[2] واستفراغه، وإن كان فيهما بعض الإرادة.

وأول ما يَستدل به المرء على وجوب المكافأة، هو أنّه إذا عرف ربَّه واعتقد ما ذكرناه من وحدانيته ونّزَّهَهُ عن صفات المخلوقين، واهتدى بمعرفته ومعرفة رسوله ﷺ وآله، وانتهج المنهج الواضح، وجد في صدره سعة، وفي أحواله استقامة، ومن الأشرار سلامة، وعند الأخيار حظوة، وفي معاشه سداداً بمقدار ما يفعله وينويه منه، فإذا تيقّن ذلك، فينبغي له أن يقْدمَ على سياسة أحواله بقلب قوي، ونيّة صادقة، وصدر واسع، ثقةً بأنّ ما يأتيه من ذلك - وإنْ قلّ - يجدي عليه نفعاً يجلّ.

وينبغي أن يعلم أنَّ الباري - جلَّت قدرته - خلق الخلائق بحكمته، فأبدعها إبداعاً، وجعلها أجناساً وأنواعاً، على صور مختلفة وأشكال متباينة، وأودعها من السرائر الإلهية ما أفرد كل واحد منها بصورة، مضمنة نوعاً من الحكمة، يبرزه الفعل الصادر عنها نحو غاية محدودة، لا يُشاركها فيها غيره، وأشاع فيها مع اختلاف صورها، وتباين غاياتها، من نور الربوبية، ما حرَّك كلًّا منها نحو المبدأ الذي منه كان انبعاثه.

---

(١) في (خ) حتى يقوم ذلك الواحد. وسقط منها ما بين القوسين.

(٢) في (ط) غذائه.

واختص الإنسان من بينها بأكمل صورة وأفضل هيئة، فعدّل مزاجه وأخلاطه[1]، وهيّأ له آلات الإدراك والإحاطة، وأفاض عليه من فائض جوده وخيره ونور جوهريته، ما استنارت به نفسه، وأيَّد منه جسمه، فسرت قوّته في جميع ما دونه من أصناف الموجودات، حتى تملكها بطشاً بجوارح جسده، وأحاط بمعارف نفسه، المشتملة على معانيها وأسبابها، على معرفة جوهر كل واحد منها وماهيته.

ولما كان غرضنا في هذا الكتاب الإبانة عن الكمال الخاص بنوع الإنسان الحاصل باستعمال الفضائل المأمور بها، واجتناب الرذائل المنهي عنها، احتجنا إلى ذِكر القوى المنبعثة بالفيض الأول[2]، وما فيها من الفضائل التي من شأنها أن تظهر في هذا العالم، إلى نفس طاهرة، وطبع زكي، وعقل نقي من دنس الآراء والمذاهب الزائغة عن الحق.

فتتولى تدبير العالم وتسويس أهله بالدين القيّم والسنة العادلة، وتخليصهم[3] من أيدي المتسلطين عليهم، الذين من شأنهم إبطال آثار الآراء الشرعية، وإزالة رسوم الرياسات المدنية، فيُرتّب الناس مراتبهم، ويصنفهم تصنيفاً يعرف به كل امرىء مقامه، ويقف عند الذي حدّ له إمامه، وينخع[4] بالطاعة لمن فوقه بمنزلة، ولا ينزع إلى المنافسة لمن علاه في القدر والسياسة، فتجري الأمور إلى غاياتها التي حدّدتها

---

(١) أخلاط الإنسان: أمزجته الأربعة، وهي ما أُسِّس عليه البدن من الدم والمرَّتين (الصفراء والبيضاء) والبلغم. لسان العرب - ابن منظور - ٢/ ٨٧٩، ٥/ ٤٧٦.

(٢) الفيض: في اللغة الكثير، نقول فاض الماء أو فاض الخير أي كثُرَ وانتشر. والفيض عند الفلاسفة يُطلق على فعل فاعل يفعل دائماً لا لعوض ولا لغرض، وذلك الفاعل لا يكون إلّا دائم الوجود. فيقولون العالم يفيض عن الله كما يفيض النور عن الشمس. المعجم الفلسفي، ٢/ ١٧٢.

(٣) في (خ) تسوس... وتخلصهم.

(٤) نخع: أقر بالحق والطاعة.

الحكمة الإلهية والشرعة النبوية والعادات العقلية، وتأمن العباد وتعمر البلاد، وتطَّرد الرياسات بأجمعها منقادة لرياسة واحدة ورئيس واحد.

وهذا الإنسان في أكمل المراتب الإنسانية، وفي أعلا درجات السعادة الأبدية، واستحقاقه ذلك باجتماع هذه الفضائل فيه وهي:

خصائص الإنسان الكامل

وهي ثلاث عشرة

الخامسة	الرابعة	الثالثة	الثانية	الأولى
أن يكون جيد الفطنة ذكيًّا إذا رأى على الشيء أدنى دليل فطن له.	أن يكون جيد الحفظ لما يراه ويسمعه ولا ينسى ما يدركه من العلم.	أن يكون جيد الفهم والتصور لما يُقال له عالماً بكتاب الله عاملاً به.	أن يكون صحيح الأعضاء تواتيه على ما يريده من الأعمال البدنية.	أن يكون له قدرة على جودة التخيّل لكل ما يعمله من أعمال السعادة.

العاشرة	التاسعة	الثامنة	السابعة	السادسة
أن يكون كبير النفس محبًّا للكرامة، يُعظِّم نفسه عن كل ما يُشين من الأمور.	أن يكون غير شرهٍ على الشهوات، مبغضاً لِما ساءت عاقبته من اللذات.	أن يكون محبًّا للصدق وأهله كارهاً للكذب وأهله، طبعاً لا تكلّفاً.	أن يكون محبًّا للتعلم والاستفادة منقاداً سهل القبول لا يؤلمه تعب التعليم.	أن يكون حسن العبادة يواتيه لسانه على إبانة جميع ما في ضميره.

الثالثة عشرة	الثانية عشرة	الحادية عشرة
أن يهون عنده الدينار والدرهم وسائر الأعراض الدنيوية الفانية.	أن يكون قوي العزيمة على ما يبتغي، غير خائف من الموت وليس ضعيف النفس.	أن يكون محبًّا للعدل والصدق وأهلهما، مبغضاً للجور والكذب وأهلهما، منصفاً من نفسه.

فإن تفردَّ ببعض هذه الخصال من هذا العالم أحد[١]، انتشرت محاسنه في أطراف مهاد الأرض، وشاع جميل ذكره في أكناف السبع الشداد في الطول والعرض، فمتى اقتضت العناية الأزلية، إيداع نسمةٍ يسمو قدرها ويعز وصفها، نظم هذه الجواهر في سلك حواسها الشريفة (ومحاملها الكريمة)[٢]، وانخراط هذه الدرر في عقد عقائدها الصحيحة، وخواطرها السليمة، تداعت أسباب الإقبال لاجتماعها، وتعاطت السعادة عند القبول لاتباعها، ومتى وُفِّقَت خواطره لحماية حوزةٍ[٣]، ساعدته الأقدار، وإذا اهتمّت أفكاره بارتفاع وسماء، لا تعتريه الأخطار.

ومن السعادة لأهل هذا الزمان، أن إمامهم ومتقلّد سياستهم ومُدبِّر حكمهم[٤] من هو مجمع المحاسن المذكورة، ومعدن الفضائل المشهورة، ومَن جمع هذه المحامد المشكورة، مَن جاد الزمان ببقائه على الدين وذويه، ومَنَّ الدهرُ بوجوده على الإسلام وبنيه، وهو سيدنا ومولانا ومالكنا، خليفة الله في العباد، والسالك سبيل الرشاد، **المعتصم بالله** أمير المؤمنين، نجل الخلفاء الراشدين، والأئمة المهديين، الذين قضوا بالحق وبه كانوا يعدلون، الذي اجتمعت فيه الخصال الموجبة للخلافة والإمامة، من مؤاتاة الطبع لقول[٥] الفضائل، واستعمالها في مواضعها، وإظهارها في نفسه أولاً، ثم في سائر أهل مملكته، شريفها ودنيئها، عالمها وجاهلها، كل واحد منهم على حسب ما توجبه طبقته، فعمَّر الدنيا وحصَّنها، ونشر عدله فيها وأمَّنها، وتتبَّع المعروف فأيَّده وأقامه، والمنكر فدحضه وقوَّض خِيامه، وسمَت همّته في الطاعات، وانتهت إلى أقصى الغايات.

---

(١) في (ط) فإن تفرد بعض بهذه الخصال من هذا العالم.

(٢) في (خ) جواهرها الشريفة ومخايلها الكريمة.

(٣) الحوزة: الناحية، وحوزة المملكة ما بين تخومها.

(٤) في (خ) ملكهم والمقصود هنا، الخليفة المعتصم..

(٥) في (خ) مواتاة الطبع لقبول الفضائل، ومعنى واتاه الطبع: أي طاوعه.

فقد خضعت له الأُمم، وانقادَت له الممالك، وخنع[1] له الأعداء، وذلَّت له السادات، ورضيت برياسته الملوك، وسكنت الحروب، وائتلفت القلوب، وكسد الجهل وقامت سوق العِلم، وانتشر العدل وزال الظلم، واتفقت الآراء واستقامت الأُمور، وبطل الاختلاف ولزم كلٌّ خَطّه، ووقف على ظلّه وعرف مقداره، فالرئيس يأمر وينهى، والمرؤوس يسمع ويُطيع.

وإنما التأم ذلك كلّه بتيقظه، خلَّد الله تعالى ملكه، واستفراغه وسعه في مصالح الخلق، واستعمال همَّته الشريفة في تشييد الحق، وحُسن سياسته مملكته وتدبيره رعيته ومراعاة أسبابها، فهو بذلك منصفٌ لها من نفسه، ولبعضها من بعض، وإنّ أمرءًا كان من شجرة الرسالة منزعُه، وفي بحبوحة الإمامة مرتعُه[2]، ومن أسرةالنبوَّة مخرجه، لخليق أن يكون لرِضى الله حائزاً، وبالزُّلفى لديه فائزاً، وبالنعماء منه مغموراً، وبالحسنى منه مشمولاً.

وهذا ما انتهى إليه وسع المملوك، من نعت شيمه وأخلاقه، وكرمه وطيب أعراقه، إذ أكثرها يضيق عن وسعه باعُ الكلام، وتعجم ألسِنة الأقلام، كما قيل شِعراً:

لا احمِلُ اللَّوم فيها والغرامَ بها   لا كلَّف الله نَفساً فوقَ ما تسعُ

جعل الله تعالى طول مدته وافياً على عرض الدنيا، وظِل دولته ضافياً كالسماء العُليا، وهنأه بهذه الهبة[3]، وبارك له في هذه النعمة، حتى يملأ الخافقين[4] عدلاً شائعاً كما ملأها فضلاً بارعاً، ويعُم المشرقين فعلاً

(١) في (ط) نخع له الأعداء. ونقول نخعه الطاعة: أي أخلصها له، وخنع له الأعداء: خضعوا له.

(٢) في (ط) الأمانة مربعه.

(٣) في (خ) الموهبة.

(٤) الخافقين: أفق المشرق والمغرب، لأن الليل والنهار يخفقان فيهما - لسان العرب: ٢/ ٨٦٩.

جميلاً، كما عَمَّهما طَوْلاً[1] جزيلاً، ممنَّعاً بأركان حفدته، مبلّغاً فيهم كل مأمول ومروم، مع طول العمر والسلامة من حوادث الزمان وغِيَرِه[2]، إنه جواد كريم.

وقد آن أن نأتي بما وعدنا به إن شاء الله تعالى، ونسأل الله التوفيق والهداية إلى سواء الطريق بمنِّه ولطفِه وكرمه.



(١) الطول: الفضل والقدرة والسعة والغنى - لسان العرب: ٤/ ٦٣٠.

(٢) غِيَر ا لدهر: أحداثه.

الفصل الثاني

في أحكام الأخلاق وأقسامها

★ ★

قد ثبت بالرهان الصادق، أنَّ الإنسان من بين سائر الحيوان، ذو فكر وتمييز، فهو أبداً يختار من الأمور أفضلها، ومن المراتب أشرفها، ومن المقتنيات أنفسها[١]، إذا لم يعدل على التمييز في اختياره، ولم يغلبه هواه في اتباع أغراضه.

وأولى ما اختاره الإنسان لنفسه، ولم يقف دون بلوغ غايته، ولم يرضَ بالتقصير عن نهايةتمامه وكماله، - إذ هو من تمام الإنسان وكماله[٢] - أن يكون مرتاضاً بمكارم الأخلاق ومحاسنها، متنزّهاً عن مساوئها ومقابحها، آخذاً في جميع أحواله بقوانين الفضائل، عادلاً في أفعاله عن طرق الرذائل.

وإذا كان ذلك كذلك، فقد وجب عليه أن يجعل قصده اكتساب كلّ شيمة سليمة من المعايب، ويصرف همَّتَهُ في اقتناء جسم كريم خالص من الشوائب، وأن يبذل جهده في اجتناب كل خصلة مكروهة، ويستفرغ

---

(١) المقتنيات: ما يحرص الإنسان على اقتنائه من مال وجاه وغير ذلك. والشيء النفيس ما يُتَنافس فيه ويُرغب - لسان العرب - ٦: ٦٩٠.

(٢) سقطت من (خ).

وسعه في اطراح كل خِلَّة مذمومة، حتى يحوز الكمال بتهذيب خلائقه، ويكتسي حلل الجمال بدماثة شمائله[(١)].

فإنه إذا حاسب نفسه، وأجاد فكره، علِم أن الضرر في مساويء الأخلاق، أكثر من النفع، وأن الذي يعده نفعاً، ليس هو نفعاً على الحقيقة، بل هو يسير جدًّا غير باقٍ ولا مستمر، وأن هذا اليسير - الذي يعده نفعاً - لا يفي بالضرر الكثير، والعار الدائم المتصل.

ويعلم أيضاً أن الشرور والخبث، يجلبان عليه الشر ويوحشان منه الناس. ألا ترى أن من تَشَرَّرَ، قصده الناس بالشّر واستعدوا لأذيَّته، واحترزوا منه وكرهوا نفعه، وحظروا عليه وجوه الخير. فقد بان بما ذكرنا، فضيلة الخُلق الجميل، ورذيلة ضدّه.

مراتب الناس في قبول الأخلاق[(٢)]:

فأما **مراتب الناس في قبول هذا الأدب** الذي سمَّيْناه خُلُقاً، والمسارعة إلى تعلّمه والحرص عليه، فإنها كثيرة، وهي تُشاهد وتُعاين فيهم[(٣)]، وخاصةً في الأطفال، فإن أخلاقهم تظهر فيهم منذ مبدأ نشوئهم، ولا يسترونها بِرَوِيَّة ولا فكر، كما يفعل الرجل التام الذي انتهى في نشوئه وكماله، إلى حيث يعرف من نفسه ما يتسقبح منه فيخفيه بضرب من الحِيَل والأفعال المضادَّة لما في طبعه، وأنت تتأمّل من أخلاق الصبيان واستعدادهم لقبول الأدب، أو نفورهم عنه، وما يظهر في بعضهم من القِحَّة[(٤)]، وفي بعضهم من الحياء، وكذلك ما يُرى فيهم من الجود

---

(١) دماثة شمائله: سهولة طبعه وخلقه.

(٢) من إضافات المحقق.

(٣) في (خ). وهو يشاهد ويُعاين فيهم.. وفي ذلك إشارة إلى الخُلق.

(٤) القحّة: قِلّة الحياء. قال ابن جني: الأصل وقِحة، حذفوا الواو على القياس، يُقال =

والبخل، والرحمة والقوة، والحسد وضدّه، إلى سائر الأحوال المتفاوتة، ما تعرف به مراتب الإنسان، في قبول الأخلاق الفاضلة.

وتعلم معه أنَّهم ليسوا على مرتبة واحدة، وأنّ فيهم المواتي والممتنع، والسهل السلس والفظ العسِر، والخيِّر والشِرِّير، والمتوسط بين هذه الأطراف في مراتب لا تُحصى كثرة.

وإذا أُهملَت الطِّباع، ولم ترضَ بالتأديب والتقويم، نشأ كل إنسان على سوء طباعه[1]، وبقي عمره كلّه على الحال التي كان عليها في الطفوليَّة، وتبع ما وافقه بالطَّبع، إمَّا الغضب، وإمَّا اللذَّة، وإمَّا الدَّعارة، وإمَّا الشّرَه.

كيفية اقتناء الأخلاق الجملية[2]:

فينبغي أن نقول الآن في: **الحيلة التي يُمكننا بها أن نقتني الأخلاق الجميلة الحسنة** فأقول: إنه يجب أولاً أن نحصي الأخلاق، خُلقاً خُلقاً، ونحصي الأفعال الكائنة عن خُلقٍ خُلق، ومن بعد ذلك ننظر ونتأمَّل، أي خُلق نجد أنفسنا عليه؟ وهل ذلك الخلق الذي اتفق لنا منذ أوّل أمرنا جميل أو قبيح؟

والسبيل إلى الوقوف على ذلك أن نتأمَّل، أيّ فعل إذا فعلناه لحِقنا من ذلك الفعل لذَّة؟ وأيّ فعلٍ إذا فعلناه نتأذَّى به؟، فإذا وقفنا عليه، نظرنا إلى ذلك الفعل، أهو فعل يصدر عن الجميل؟ أم هو صادر عن الخُلق القبيح؟، فإن كان ذلك كائناً عن خلق جميل، قلنا إنَّ لنا خلقاً ما جميلاً، وإن كان ذلك كائناً عن خُلق قبيح، قُلنا إنَّ لنا خلقاً ما قبيحاً.

= امرأةقِحَةٌ: أي جافية، لسان العرب - ابن منظور، ٦/٩٦٢، ٥/٢٣.

(١) في (ط) شؤم طباعه.

(٢) من إضافات المحقق.

فبهذا الوجه نقف على الخُلق الذي نصادف أنفسنا عليه، أيّ خلق هو، وكما أن الطبيب متى وقف على حال البدن بالأشياء التابعة[١] لأحواله، نَظَرَ، فإن كانت الحال التي صادفه عليها حال الصحة، احتال في حفظها على البدن، وإن كان ما يُصادَف عليه البدن حال سُقمٍ أعْمَلَ الحيلة في إزالته عنه.

كذلك، متى صادَفْنا أنفسنا على خُلق جميل، احتلنا في حِفظه عليها، وإن صادفناها على خُلق قبيح استعملنا الحيلة في إزالته عنها، فإن الخُلق القبيح سُقم نفساني.

فينبغي أن نحتذي في إزالة أسقام النفس حذو الطبيب في إزالة أسقام البدن، ثم يُنْظَر بعد ذلك، الخُلق القبيح الذي صادفنا أنفسنا عليه، هل هو من جهة الزيادة؟ أو من جهة النقصان

وكما أن الطبيب - أيضاً - متى صادف البدن[٢] أزْيَد حرارة أو أنقص، ردَّه إلى التوسط من الحرارة، بحسب الوسط المحدود في صناعة الطب، كذلك متى صادفْنا أنفسنا على الزيادة أو النقصان في الأخلاق، رَدَدْناها إلى الوسط المحدود في هذا الكتاب.

ولمَّا كان الوقوف من أول وهلة على الوسط عسِراً جدًّا، التمسنا الحيلة في إيقاف الانسان خلقه عليه، أو القرب منه جداً وذلك أن ننظر في الخلق الحاصل لنا، فإن كان من حيث الزيادة، عوَّدنا أنفسنا الأفعال الكائنة عن ضِدَّه، الذي هو من جهة النقصان. (وإن كان من حيث النقصان، عوَّدناها الأفعال الكائنة عن ضِدِّه الذي هو[٣]) من جهة الزيادة، ونُديمُ ذلك زماناً ثم نتأمَّل وننظر، أي خُلق حصل؟ فإنَّ الخُلق الحاصل لا يخلو من ثلاثة أحوال هي:

---

(١) في (ط) البالغة.

(٢) كلمة البدن غير موجودة في (خ).

(٣) هذا السطر سقط من (خ) وبدونه لا يستقيم المعنى وهو مثبت هنا كما في (ط).



فإن كان الحاصل هو القُرب من الوسط فقط، من غير أن يكون قد جاوز الوسط إلى الضِدّ الآخر، دُمنا على تِلك الأفعال بعينها زماناً آخر، إلى أن ينتهي إلى الوسط.

وإن كان[1] قد جاوز الوسط إلى الضدّ الآخر، عُدنا ففعلنا الخُلق الأول، ودُمنا عليه زماناً، ثم نتأمّل.

وبالجملة، كلما وجدنا أنفسنا مالت إلى جانب، عوَّدناها الجانب الآخر، ولا نزال نفعل ذلك حتى نبلغ الوسط أو نُقاربه جدًّا.

ولما كان غرضنا في هذا الفصل من الكتاب، بيان السعادة الخلقية، وأن تصدر عنها الأفعال جميلة، - كما قدَّمنا -، وجب أن نقول قولاً يتبيّن به ما الخُلق؟ وما سبب اختلافه من الناس؟ وما المرضي منه المغبوط صاحبه والمتخلِّق به؟ وما المُشين الممقوت فاعله والمتوسِّم[2] به؟

---

(١) هنا كلمة محذوفة من (خ) تقديرها الحاصل وقد ذكرت في (ط) (الوسط) خطأ.

(٢) المتوسّم بِه: المتّصِف به. والوسم: هو أثر الكي أو العلامة.

ونفعُ هذا الكتاب، يشمل ثلاث طبقات من الناس وهم:

الطبقات المنتفعة بهذا الكتاب(*)

الطبقة الأولى	الطبقة الثانية	الطبقة الثالثة
تشمل مَن كانت له عيوب كثيرة، وهو يظن أنه كامل.	تشمل مَن حصل له بعض الفضائل، وأعوزه بعضها، فهو متوسط.	تشمل مَن هو في غاية الكمال، بعيداً عن المعايب.
وجه المنفعة	**وجه المنفعة**	**وجه المنفعة**
أنه إذا تكرّر عليه الأخلاق المذمومة، تيقّظ لها، وأنِفَ لنفسِه منها، فربَّما سلك الصواب.	أنه إذا وقف على محاسن الأخلاق، تاقت نفسه إلى ما أخلّ به منها، فتبعه واستعمله.	أنه إذا مرَّ بسمعِهِ ذِكر الأخلاق الجميلة، رأى أنها سجاياه، فالتَذَّ بذلك لذَّة عظيمة، ويزيد منها بحسب لِذَّتِهِ.

(*) من إضافات المحقق.

تعريف الخلق وأقسامه[1]:

فنقول: إن الخُلق حال للنفس داعية لها إلى أفعالها من فكرٍ ورويَّة.

وينقسم إلى قسمين

ثانياً: ما يكون مستفاداً بالعادة	أولاً: ما يكون طبيعيًّا من أصل الخلقة
مبدأ ذلك بالفكر والرويّة، ثم يستمر عليه أولاً فأولاً، حتى يصير عادةً وملكَةً(*) يُقارِبُ الطبيعي.	كمن يُحرِّكه أدنى شيء نحو الغضب، وكمن يَجْبُنُ من أيسر شيء، وكالذي يَفْزَعُ من أدنى خوف.

واعلم أن **لكل شخص قوتين، عقلية[2] وبهيمية**، ولكل واحدة منها إرادة واختيار، وهو كالواقف بينهما، ولكل واحدة منهما نزاع غالب، فنزاع القوة البهيمية نحو مصادفة اللذات العاجلة الشهوية، ونزاع القوة العقلية - أعني المنطقية - نحو العواقب المحمودة.

وأول ما ينشأ الإنسان، يكون في عداد البهائم، إلى أن يتولَّد فيه العقل أولاً فأولاً، وتَقْوى فيه هذه القوة، فالقوة البهيمية فيه إذاً أغلب عليه. وكلّ ما كان أغلب، كانت الحاجة إلى إخماده وتوهينه، وأخْذ الأهبة له، أشدّ.

---

(١) من إضافات المحقق.

(*) الملكة: صفة راسخة في النفس، يقال مثلاً عند فلان ملكة النقد، أي أن النقد صفة راسخة في نفسه، - المنجد - ص٧٧٥.

(٢) في (ط) عاقلة.

فواجب على كل مَن يروم نيل فضيلة، أن لا يتغافل عن تيقّظ نفسه في كل وقت، وتحريضها على ما هو أصلح لها، وأن لا يُهملها ساعة واحدة، فإنه متى أهملها وهي حيَّة - والحي متحرك -، لم يكن لها بد من أن تتحرّك نحو الطرف البهيمي، وإذا تحرَّطَتْ نحوه تشبَّثَتْ ببعضٍ منه، حتى إذا أراد ردَّها عمّا تحرَّكَت نحوه، لحقه من النَّصْبِ أضعاف ما كان يلحقه لو لم يهملها.

والمرء لا يخلو من جميع تصرفاته من أن يلقى أمراً محموداً أو مذموماً، وله في كل واحد من الأمرين فائدة يُمكِنه استفادتها، ويجد في كل واحد منهما نفعاً يمكنه جذبه إلى نفسه، ويصادف في كل واحدٍ منهما موضع رياضةٍ لنفسه، وهو:

أن يحتال للتمسك بذلك **الأمر المحمود** الذي يلقاه، أو يجدّ فيه[1] - إن وجد السبيل إلى التمسك به - أو يتشبَّث بالتمسك به متى وجد الفُرصة لذلك، وهو لا شك واجد السبيل إلى أحد هذه السُبل الثلاث.

وإذا تلقَّاه **الأمر المذموم**، فليجتهد في التحرّر منه والتباعُد عنه، وإن لم يجد إلى ذلك سبيلاً وهو واقع فيه، فليبالغ في نفيه عن نفسه[2] بغاية ما أمكنه، فإن لم يُمكنه التبري منه، فليعزم على نفسه أنه إذا تيسَّر له الخلاص منه لا يعود إلى أسبابه، وليقبِّح إلى نفسه دواعي ذلك الأمر، وليُنَبِّهها على الاعتبار بمن نالهم مضارّ مثلها، فقد ظهر أن المرء تصادف أحواله - خيرها وشرها - موضع الرياضة لنفسه، والإصلاح لأخلاقه.

---

(١) عبارة (أو يجد فيه) سقطت من (خ).

(٢) (عن نفسه) سقطت من (خ).

وقد أجمعت الفلاسفة على أن جميع أجناس الفضائل التي لا نحتاج في إقتناء كمال النفس إلى غيرها، مجتمعة في أربعة أصول، يتفرع منها فروع كثيرة، وسيأتي ذكرها إن شاء الله تعالى وهي:

الفضائل الأربع للإنسان الكامل (*)

١	٢	٣	٤
الحكمة	العفة	الشجاعة	العدالة
وهي عِلة صحة الفكر والرويّة والتميّز في سائر الأشياء.	وهي عًلة الورع وضبط النّفس عن الشهوات المؤذية الفانية	وهي عِلة الإقدام وأن لا ينهزم عند الشدائد والمخاوف	وهي عِلة صحة الأفعال ووضعها في مواضعها اللائقة بها.
وقوامها	وقوامها	وقوامها	وقوامها
في القوة والفكر (**)	في القوة الشهوانية	في القوة الغضبية	في اعتدال هذه القوى

(*) من إضافات المحقق.

(**) أي القوة الفكرية.

المعاني المحتاج إلى معرفتها قبل ما نحن ذاكروه أربعة

وهي

المعنى المسمى خيراً	المعنى المسمى شرًّا	المعنى المسمى نافعاً	المعنى المسمى ضارًّا
هو الأمر المرغوب فيه(*) لذاته.	هو الأمر المرغوب عنه(**) لذاته.	هو السبب المؤدي إلى الخير.	هو السبب المؤدي إلى الشر.

القوى المتحكمة في النفس البشرية وخصائصها[1]:

ونقول أنه مهما اختلف الفلاسفة الأقدمون المشهورون فيما اختلفوا فيه من أمر النفس، فلم يختلفوا أن لها قوى ثلاثاً، **فكرة** و**شهوة** و**غضب**، بل كلهم متفقون على ذلك، «والحق أنه ليس الأمر الذي يذكر عنها واحداً»[2]، هذا وإن كانت النفس التي تفعل الأفاعيل ثلاثتها واحدة[3]، فليست تفعل ذلك بقوةٍ واحدةٍ، بل بقوىً ثلاثٍ مختلفةٍ، تُفكِّر بواحدةٍ، وتشتهي بأُخرى، وتغضب بأدنى[4]، والمثال في ذلك أنّا نقول في العين

(*) في (خ) المطلوب لذاته.

(**) في (خ) المعزوف عنه.

(١) من إضافات المحقق.

(٢) في (خ) العبارة مختلفة وهي بلفظ، «والحق أنه ليس الأمر الذي يفكر منها هو الذي يشتهي أو يغضب ولا بالعكس».

(٣) هذه العبارة غير موجودة في (ط).

(٤) في (خ) بأخرى.

إنها تُبصِر، من غير أن يكون كلّه الذي يُبصِر، بل ناظرها وحده، ونقول إن ناظِر العين يُبصِر، من غير أن يكون كلّه الذي يُبصِر، بلِ الإنسان الذي فيه، فكذلك نقول: إنه ليست النفس بجملتها تشتهي وتُفكِّر وتغضب، بل قوى منها معروفة، تتفرَّد كل واحدةٍ بواحدةٍ وهي هذه:

القوى المتحكمة في النفس البشرية وموضعها وخصائصها(*)

القوة الفكرية

وهي العاقلة الفكرية ومسكنها الدِّماغ، وأحدُ قواها الفهم الفارق بين الحق والباطل، والأدب يحركها نحو أفعالها الصالحة وغرضها الحق، وبيها يكون الفكر ويختص بها الإنسان.

القوة الغضبية

وهي الحيوانية السبعية، ومسكنها القلب، ويشارك الإنسان بها الحيوان، وأحد قواها حُب الغلبة والرياسة، وبها يدفع ما لا يوافق بدنه ونفسه.

القوة الشهوية

وهي المغذية النباتية، ومسكنها الكبد، ويُشارك بها الحيوان والنبات، وبها يبقى التناسل، والأدب يُكسبها السكون، وبها يُطلب الموافق من الأغذية.

(*) العنوان من إضافات المحقق.

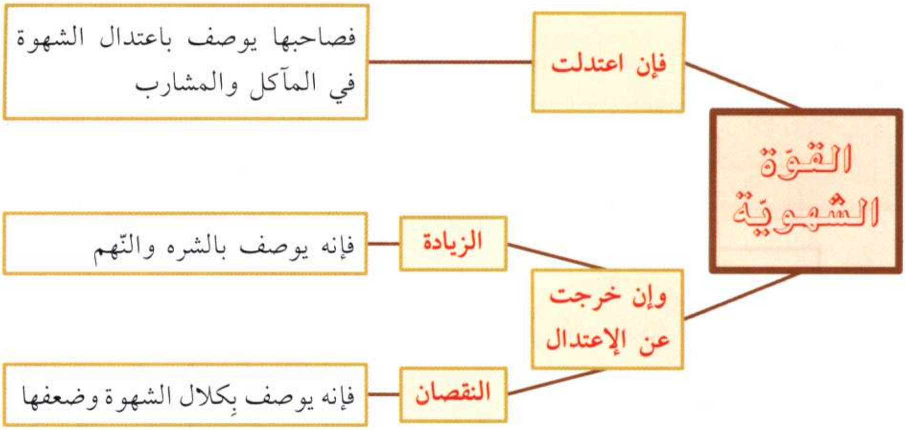
القوة الفكرية

- **فإن اعتدلت**: فصاحبها يوصف بجودة العقل وصحة الفكر والتمييز.
- **وإن خرجت عن الإعتدال**
  - **الزيادة**: فإنه يوصف بالمكر والخبث.
  - **النقصان**: فإنه يوصف بالبلادة والعي(*).

القوّة الغضبيّة

- **فإن اعتدلت**: فصاحبها يوصف بالشجاعة والفروسية وقوَّة القلب
- **وإن خرجت عن الإعتدال**
  - **الزيادة**: فإنه يوصف بالتهوّر وكثرة الغضب
  - **النقصان**: فإنه يوصف بالجبن وضعف النفس

(*) العي: العجز.



فهذه الأُصول والمباديء، ومنها تنشأ السجايا والأخلاق في الإنسان، بتوسط تلك الفضائل التي تقدم ذكرها، ولها في أفعالها الصادرة عنها أفعال مختلفة عند **الإفراط** و**التوسط** و**التفريط**(١).

---

(١) الإفراط: هو الإسراف والزيادة، يقال: أفرط الحوض إذا ملأه حتى فاض. والتفريط: هو العجز والتقصير، قال تعالى: ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾. أي ضيّع ما عنده ولم يعمل به - لسان العرب - ابن المنظور، ٤: ١٠٨٠- ١٠٨١.

الأخلاق ودرجات التعامل

محمودة أو مذمومة

محمودة

كالمحاسن والفضائل

وتنقسم إلى

الفضائل	كالحكمة والعفة وأخواتهما
عللها	كالخطّ والبحث والتعلُّم
لواحقها	كالفقه والفهم
أجزاؤها	كالتؤدة وحُسن الرويّة
أعمالها	تمييز الصدق والخير وإيثارهما

مذمومة

كالمساويء والرَّذائل

وتنقسم إلى

الرذائل	كالحُبن والخرق والفُجور
عِللها	كالنسيان والبلادة
لواحقها	كالندامة والبله
أجزاؤها	كالطيش وسوء الروية
أعمالها	إجراء الأشياء على ضد الصواب

وهذه الفضائل يقل وجودها في الناس وتنقسم إلى أقسام

والرذائل موجودة في الأكثر غالبة عليهم، وتنقسم إلى أقسام

الفضائل

- فمنهم مَن لا يقبل طبعه العادات الحسنة
- ومنهم من يقبل كثيراً منها، وينبو طبعه عن بعضها(*)
- ومنهم مَن يستعملها بطبعه، وهو الكامل
- ومنهم مَن إذا نُبِّه إليها، تنبَّه، واستعملها بقدر طاقته

الرذائل

- فمنهم مَن لا ينتبه، فإذا انتبه أحسَّ بقبحه
- ومنهم مَن إذا أراد العُدول عنها، لم يُسعدْه طبعُه
- ومنهم مَن يتظاهر بها وينقاد إليها، وهم الأشرار
- ومنهم مَن ينتبه بجودة الفكر إلى قبحها فيأنف(**)

(*) نبأ الطبع عن الشي: أي نفر منه ولم يقبله، والنبوة: الجفوة - لسان العرب - ٦/ ٥٧٣، والمنجد ص٧٨٧.

(**) أنِفَ من الشيء يأنفه: إذا كرهه - لسان العرب - ١/ ١١٦.

وهذه القوى - أعني **الناطقة والغضبية والشهوية** - لا تخلو في سائر أحوالها أن تكون معتدلة بأجمعها أو لا. **إن اعتدلت صدر عنها العدل** وهو فضيلتها بأجمعها، وخاصيته تقسيم الأشياء وتقسيطها ووضع كل شيء في موضعه وينقسم إلى هذه الأقسام:

أقسام العدل(*)

العبادة	وهي تعظيم الله تعالى وتمجيده وطاعته وإكرام رسله عليهم السلام
الصداقة	وهي محبة صادقة واهتمام بجميع أسباب الصديق
الألفة	وهي اتفاق الآراء على التعاون في تدبير العيش
صلة الرحم	وهي مشاركة ذوي اللحمة(**) في الخيرات ومواصلتهم
المكافأة	وهي مقابلة الإحسان بمثله والزيادة عليه بما يجب
حسن الشركة	وهو الإعتدال في الأخذ والإعطاء والإنصاف
حسن القضاء	وهو المجازاة بغير مَنٍّ ولا ندمٍ
التودُّد	وهو طلب المودّات بحسن اللقاء وجميل الأفعال

وينقسم (التودّد) إلى أربعة أقسام

أحدها	الثاني	الثالث	الرابع
من قبل الطبيعة	من قبل المصاحبة	الثالث غريب	نزيد قسماً رابعاً
كمودة الآباء(***) للأبناء، والأبناء لآبائهم.	كالصداقة والمخالطة والمعاشرة.	كوصية قوم ما برجلٍ ما ليعتنى به.	وهو الذي يكون من حب الجماع، ويُسمى عشقاً

(*) من إضافات المحقق. / (**) اللُّحمة: القرابة. / (***) في (خ) الأمهات.

وإن خرجت عن الإعتدال[١] **صدر عنها الجور**، وهو رذيلتها بأجمعها، وخاصيته تعَدَّى الحقّ في كل شيء، وينقسم إلى هذه الأقسام:

أقسام الجور[*]

الظلم	وهو التوصل إلى كثرة المقتنيات[**] من حيث لا ينبغي وكما لا ينبغي
الانظلام	وهو الإستحذاء والإستحابة[***] في المقتنيات لمن لا ينبغي
النذالة	وهي منقصة تنازع[****] إلى الجمع من كل جهة، وتُحدِث بُغض الناس
العجز	وهو منقصة النفس، ومن لوازمه ضعف الأمل وغلط الكلام
الخور	وهو أن يجزع الإنسان ويتغيّر سريعاً من أي شيء ورد عليه

---

(١) أي القوى الناطقة والغضبية والشهوية.

(*) من إضافات المحقق.

(**) يقصد بالمقتنيات: المال والجاه والسلطان والأصحاب وغير ذلك مما يحرص الإنسان عليه.

(***) الإنظلام: تحمل الظلم مع القدرة على رده ودفعه.

الاستحذاء: من الحذو وهو التبعية للشيء، والمقصود الخضوع للظلم، لسان العرب ١/ ٥٩٤.

الاستحابة: من التحوّب، أي المسكنة والتوجع، يقال: ارحم حويتي أي توجعي، لسان العرب ١/ ٧٤٦.

(****) التنازع إلى الشيء: الميل له والرغبة فيه.

ولنذكر الآن فضائل كل قوة ورذائلها على الإنفراد، ولنبدأ بذكر فضائل:

القوة الناطقة

فنقول إنّ:

أول ما يحدث لها

النزاع	وهو انبعاث النفس نحو الشيء الملائم
ثم المواقعة	وهي مصادمة الحي مطلوبه وغرضه
ثم الإحساس	وهو قبول صور المحسوسات
ثم التخيّل	وهو (ثبات صور المحسوسات)(*) في النفس بعد مفارقتها
ثم التصوّر	وهو إفراد صورةٍ صورةٍ عن صاحبتها
ثم الظن	وهو تطلُّبُ النَّفْس قياس الأشياء من ظواهرها
ثم الفكر	وهو التطوّف نحو المعارف
ثم الرأي	وهو غاية الفكر ونهايته ونتيجته

(*) في (ط) بيان صور المحسوسات.

من فضائل القوة الناطقة

العقل	هو الحكم على حقيقة المطلوب بما هي لذلك
الذِّكر	هو حصول ما سبق وجوده في الذِّهن
الحفظ	هو ثبات صور المعاني في النَّفس
الذكاء	هو سرعة انقداح النتائج وسهولتها على النَّفس
الحكمة	هي إدراك أفضل المعلومات بأفضل العلوم
الفهم	هو حصول المعاني الواردة على النفس
التَّمييز	هو حصول الفرق بين الحق والباطل والخير والشر
النُّطق	هو شرف الإنسان وبه فُضِّل على الحيوان(*)
الصِدق	هو الإخبار عن الشيء بما هو عليه

(*) في (خ) به شُرِّفَ الإنسان وفُضِّل على الحيوان.

الرذائل الصادرة عن القوة الناطقة

البلادة	هي تعطيل هذه القوة واطّراحها من غير تقصير في الخِلقة
المكر والخبث	هو إضمار الشر للغير واستعمال الغيلة(*) والخديعة
الجهل	هو ترك استعمال الصواب لعدم المعرفة
الكذب	هو الاخبار عن الشيء بخلاف ما هو عليه وهو مذموم
الحُمق	هو معرفة الصواب وترك العمل به، وقيل تصور الممتنع بصورة الممكن
الخُرق	هو الحركة من غير حاجة، ومبادرة الأمور من غير توقف
الغدر	هو الرجوع عما يبذله الإنسان من نفسه مما يضمن الوفاء به
التبذّل	هو اطّراح الحشمة والإكثار من الهزل ومجالسة السفهاء
النميمة	هي إبلاغ شخص عن آخر كلاماً مكروهاً
الرّياء	هو خُلق مذموم غرض صاحبه حسن اعتقاد الناس فيه
السَّفه	هو استعمال الفكر فيما لا ينبغي وهو الجريرة(**)

(*) الغيلة: من الاغتيال والأخذ على حين غرّة أو غفلة.

(**) الجريرة: الإثم والذنب، يُقال: جرّ على نفسه جريرة: أي ارتكب إثماً.

فضائل القوة الغضبية هي:

الشجاعة	هي التهاون بالآلام، والإقدام على ما ينبغي كما ينبغي
الحلم	هو ترك الإنتقام مع القدرة، ومجازاة الإساءة بالإحسان
الرحمة	هو خُلق مركّب من الودّ والجزع وتألم المرحوم مما يلحقه
البشر	هو إظهار السرور بمَن يلقاه والإقبال على محادثته
حسن الخُلق	هو من شيم الأنبياء وأخلاق الأولياء وأدب الله تعالى
العفو	هو أنفس الأخلاق، وهو نفْس الفضْل
عظم الهمة	هو استصغار ما دون النهاية من معالي الأمور وتنقسم إلى:
التثبت	هو فضيلة يقوى بها الإنسان على احتمال الآلام
التواضع	هو إظهار الخمول واجتناب المباهاة وترك العُجْبِ
كبر النفس	هو الإستهانة باليسار، والاقتدار على حمل الكرامة وضدها
النجدة	هي ثقة النفس عند المخاوف حتى لا يجاوزها فزع
الشهامة	هي الحرص على الأعمال العِظام توقعاً للأحدوثة الجميلة
إحتمال الكد	هو قوة استعمال البدن في الأعمال الحسيَّة، كحُسن العِبادة

أقسام عظم الهمة

الأنفة	الحميَّة	الغيرة
هي نُبُوُّ النفس عن الأمور الدنيئة	هي الغضب عند الإحساس بالنقص.	هي إظهار الغضب فيما يخشى عادة.

الرذائل الصادرة عن القوة الغضبية هي:

الكبر	هو استعظام المرء نفسه، واستحسانه فِعله دون فِعل غيره
العبوس	هو التقطيب عند اللقاء، وإظهار الكراهية وقلّة التبسُّم
الجُبن	هو الجزع عند المخاوف، والإحجام عن أدنى فَزَع
صغر الهمّة	هو ضعف النفس عن طلب المراتب وقصور الأمل
القساوة	هي التهاون بما يلحق الغير من الآلام، وهو مكروه إلّا في الحروب
العُجْب	هو الذي يرى أن الأمور الحسنة التي لغيره موجودة فيه
شراسة الخلق	صاحبها لا ينقاد إلى جميل القول ولا يُفارِق القبيح
الحسد	هو التألّم بما يراه الإنسان لغيره من الخير، ويتمنى إفساد حاله
القحة	هي المجاهرة بالكلام الغليظ، واستصغار الغير في عينه
اللهو(*)	هو الإقدام على ما لا ينبغي كما لا ينبغي فيما لا ينبغي
الحِقد	هو إضمار الشر إذا لم يتمكن من الإنتقام وإخفاؤه للفرصة
الطيش	هو ضد الحلم وهو الذهول من أدنى ضرر

(*) حدّدت (خ) هذه الصفة باصطلاح [التهوّر] ولعلّه أفضل.

ومن شر رذائل القوة الغضبية

الغضب: وهو أكبر الرذائل وله مواد وأسباب منها

الزهو	ومداواته	باستعمال التواضع
العجب	ومداواته	بمعرفة عيوب النفس
الفخر	ومداواته	بالتيقن أنه من جنس عبده
المرح	ومداواته	بالتشاغل بما يجب من الحقائق
الهزل	ومداواته	بالجد في طلب الفضائل
الهزء	ومداواته	بالتكرم عن أذى الناس
التعيير	ومداواته	بالقدرة على ردّ الأقاويل القبيحة
الملاحاة(**)	ومداواته	بصيانة النفس عن مُرّ الجواب
المضادة	ومداواته	بترك العِناد
الغدر	ومداواته	باستعمال الوفاء

والخوف: وهو ألم موجع للنفس لتوقع مكروه وينقسم إلى(*)

الكسل	وهو	جزع من أن يفعل فعلاً ما كسل عنه
الخجل	وهو	جزع من أن يعرف بشيء رديء لم يفعله
الحياء	وهو	جزع من ظهور شيء قبيح قد ارتكبه
الفرق	وهو	الاستهانة من شيء عظيم يضعف عن احتماله
الحذر	وهو	الجزع من سقوط أمر مرتقب وأشباهه
الذعر	وهو	الجزع من صورة ليست مألوفة

(*) هذا التقسيم كما في (خ) على حين (ط) ذكرت جميع هذه الصفات لعنصر الخوف.

(**) الملاحاة: اللوم والعذل أو المنازعة، يقال: لحيت الرجل إذا لمته، لسان العرب، ٥/ ٣٥٤.

فضائل القوة الشهوانية وهي:

العفة	هي ضبط النفس عن الشهوات القبيحة وإجتناب الترف(*)
القناعة	هي الرضا بما سهل وجوده دون ما غاب وترك الحرص
كتمان السر	هو خلق محمود وإذاعتُه من فضول الكلام
النزاهة	هي التباعد عما يُوقِع التهمة في ارتكاب الفواحش
السخاء	هو بذل(**) المال من غير مسألة ما لم ينته إلى تبذير
الحياء	هو انحصار النفس خوف إتيان القبيح والحذر من اللوم
الورع	هو قهر الشهوة عند تغلب سورتها، وتقصد فعل الجميل
الصبر	هو مقاومة النفس للهوى عند مغالبته
الدعة	هو سكون النفس عند حركة الشهوات الغالبة
الدماثة	هي حسن انقياد النفس ولينها(***)
الحرية	هي الكسب من وجهه والميل به إلى محاسن الأمور
حسن السمت(****)	هو محبة النفس تكميلها بالزينة الحسنة
الانتظام	هو حال للنفس يقودها إلى حسن تقدير الأمور
الصيانة	هي التحفظ من قبيح الهزل قولاً وفعلاً والبُعد من الدناءة
الوقار	هو سكون النفس وثباتها وتحفظها من الحركة الزائدة

وينقسم البَذّلُ إلى ستة أقسام هي:

(*) في (خ) واجتناب السرف.

(**) أقسام البذل ستة وتفصيلها في الصفحة التالية.

(***) تضيف (خ) وسرعتها إلى الجميل.

(****) حسن السمت: أي حسن القصد والمذهب.

أقسام البذل

الكرم
هو إنفاق المال بسهولة من النفس في الأمور الجليلة

الإيثار
هو كف الإنسان عن بعض حوائجه وبذلها لمستحقيها

النّيل
هو سُرور النفس بالأفعال العِظام الحسنة

السماحة
هو بترك بعض ما لا يجب تركه عند الحاجة(*) والضرورة

المسامحة
هي ترك بعض ما يجب عند الحاجة إلى ذلك

المواساة
هي معاونة الأصدقاء والمستحقين وتنقسم إلى **أربعة أقسام**

- **أحدها: بالمال**: كمواساة أهل الحاجة بماله والبر بهم ومراعاتهم
- **الثاني: بالبدن**: وذلك كنصرة المرء صاحبه بالمضاربة دونه
- **الثالث: بالعلم**: وذلك كتأديب الرجل صاحبه ومداواته بعلمه
- **الرابع: بالكلام**: وذلك بمناضلة(**) المرء عن صاحبه والخصومة عنه

(*) سقطت كلمة (الحاجة) من (ط).

(**) أصل المناضلة: المباراة في الرمي، وهنا بمعنى الدفاع، يُقال: فلان يناضل عن فلان إذا دافع عنه وتكلم عنه بعذره وحاجج عنه، لسان العرب، ٦/٦٥٨.

وأما الرذائل الصادرة عن القوة الشهوانية فهي:

الفجور	هو الإنهماك في الشهوات القبيحة وارتكاب الفواحش
الشره	هو الحرص على اكتساب الأموال والاستكثار من المطاعم والمشارب والمناكح
البخل	هو منع المُستَرفِد(*) مع القُدرة، يُحمد في النساء ويُذَم في الرجال
الخيانة	هي الإستبداد بما يُؤتمن عليه الإنسان وجحده ودائعه
إفشاء السر	هو مركَّب من الخوف والخيانة، وهو خُلق مذموم
المجون	هو استعمال الأقوال القبيحة واستحسانها
بطلان الشهوة	هو منقصة الشهوة، وهو المنع عن اللذات من غير إرادة
الشماتة	هي المسَرَّة بمصائب الناس، وهي من رداءة الطبع
الحرص	هو الانكباب(**) على الأشياء، والمبالغة في تحصيلها بالجد في الفعل خاصة(***)

ذكر طرف من علم الأسباب[1]:

ونحتاج أن نذكر طرفاً من عِلم الأسباب لنستعين به على عرضنا، مأخوذاً من كلام أمير المؤمنين **علي بن أبي طالب** رضي الله عنه **وكّرّم وجهه، ونجعله مثالاً.**

(*) المسترفد: طالب الإعانة، الاسترفاد: الاستعانة - لسان العرب، ٢/ ١١٩٥.

(**) الانكباب على الشيء: الإفراط في طلبه - لسان العرب، ٥/ ٢٠٨.

(***) في (خ) تحصيلها بجهد في العلم خاصة.

(١) من إضافات المحقق.

مثال على علم الأسباب

سبب الحلم	التواضع
سبب الغنى	القناعة
سبب النبل	العفاف
سبب العقل	المداراة
سبب الأدب	المواظبة
سب الثناء	السخاء
سبب الحظوة	الصدق
سبب الجود	الفضل
سبب قضاء الحوائج	الرفق
سبب الرزق	الطلب
سبب المزيد	الشكر
سبب المحبة	الهدية
سبب الأخوة	البشاشة
سبب الغفلة	الهوى
سبب الضيعة	الشحّ
سبب الفجور	الخلوة
سبب القطيعة	المعاتبة
سبب الفقر	السّرف
سبب المقت	الخلف
سبب المذمة	الكذب
سبب الذل	السؤال
سبب الهوان	الطمع
سبب الحرمان	الكسل
والخير كله يجمعه	الحياء والعقل(*)

(*) وتزيد (خ) سبب الإحسان: إفادة الإنسان. وسبب الطمع: آفة الورع.

توسط الفضائل بين الرذائل[1]

ونقول: إن الشيء الواحد بعينه من شأنه أن يَفسُد من الزِّيادة والنقصان، وقد ينبغي أن نستشهد على ما خفي وغاب عنّا بالأشياء الظاهرة لنا.

كما قد نرى في القوة وفي الصحة، فإن الرياضة الزائدة والناقصة تُفسد القوة، وكذلك الأطعمة والأشربة إذا زادت على ما ينبغي أو نقصت أفسدت الصحة، والمعتدلة تزيد فيها وتحفظها، والحال في العفة والشجاعة وسائر الخصال الأخرى كذلك، فإن من هَرَب من كل شيء وخافه ولم يحتمل شيئاً، صار جباناً، ومن لم يَخفْ شيئاً، لكن تلقّى كل شيء، صار مقداماً.

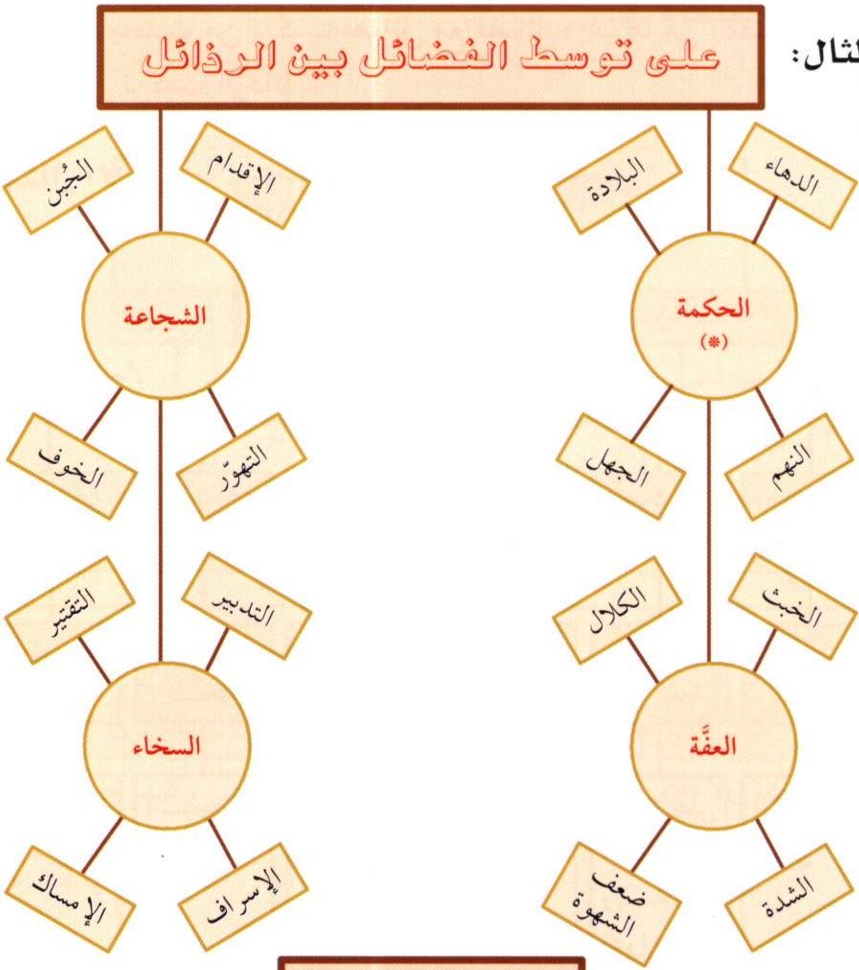
وكذلك مَن تناول كل لَذّةٍ من اللذات صار شَرِهاً، والذي يَفِرُّ من كل لَذّة فلا حِسَّ له، لأن العِفَّة والشجاعة يفسدان من الزيادة والنقصان، ويحفظهما التوسُّط.

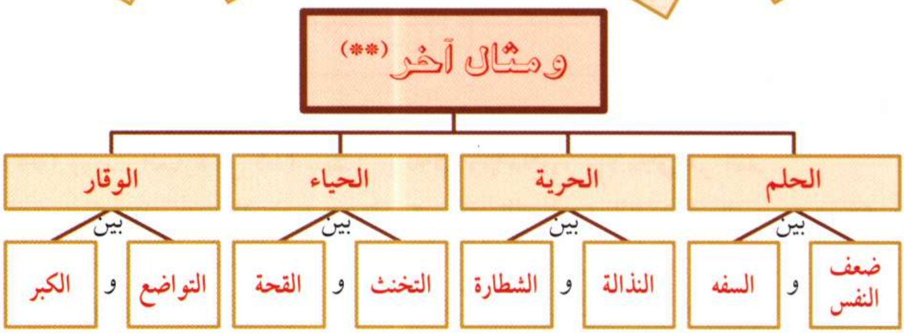
ولنذكر لذلك مثالاً يُقاس عليه، ويُرجَع في الباقي إليه، إذا كان غرضنا الإيجاز والاختصار.

---

(١) من إضافات المحقق.

المثال:





(*) في (خ) الحكمة وسط بين الخبث والبلادة - وذلك خطأ.

(**) سقطت تتمة هذا المثال من (ط).

وقد يحدث من تركيب فضائل مع فضائل، غيرها من الفضائل، كما يحدث من تركيب الرذائل.

ومثال الأول:

المثال على تركيب فضائل مع غيرها(*)

١	٢	٣	٤	٥	٦
يحدث عن تركيب	يحدث عن تركيب	يحدث عن تركيب	يحدث عن تركيب	يحدث عن تركيب	يحدث عن تركيب
العقل مع الشجاعة	العقل مع السخاء	العقل مع العفة	الشجاعة مع السخاء	الشجاعة مع العفة	السخاء مع العفة
الصبر في الملمات	إنجاز المواعيد	الصيانة والنزاهة	الإيلاف والإخلاف(**)	الغيرة على الحرم وإنكار الفواحش	الإيثار على النفس

(*) من إضافات المحقق.

(**) وردت العبارة في (ط) بلفظ: الإتلاف والإملاق، والإملاق هو الفقر. ولا أعتقد أن ذلك قصد المؤلف، ولعل الخطأ من الناسخ، والصحيح ما ذكرته المخطوطة والمثبت هنا.

والإيلاف: من الإئتلاف والمؤانسة، يُقال: أَلِفتُ فلاناً، إذا أنِستُ به، وألّفت بينهم: إذا جمعتهم بعد تفرّق - لسان العرب، ١/ ٨٣.

والإخلاف: من الخلف: وهو العِوض والبدل مما أُخِذ أو ذهب، يُقال لمَن ذهب بعض ماله أو ولده: أخلف الله لك وخلف عليك. - لسان العرب، ٢/ ٨٨٥.

اختلف العلماء في:

الفرق بين السجايا والأخلاق

فذهب قوم إلى أنّ

اسجايا ما لم تظهره الطباع	والأخلاق ما أظهرته

وسميت الأخلاق أخلاقاً لأنها تصير كالخلقة

وذهب قوم إلى أنّ

السجايا ما لم تتغيّر بطبع ولا تطبُّع	والأخلاق ما تغيَّر بهما

والشيم كالسجايا

وزعم أكثر أهل الطبّ

أن السجايا والأخلاق تابعة لمزاج البدن فتكون مستقيمة بصحته ومتغيّرة بفساده

والغرائز ما امتزج بالطبع

وذهب المتديّنون

إلى أن الله تعالى ركَّبها في النفوس بحسب إرادته، وجعل اختلاف الأخلاق كاختلاف الصور التي ليس لها علّة غير إرادية

والتحايز(*) ما ظهر بالقوة

(*) التحايز: الغلظة في الكلام.

اختلف الحكماء في:

فضائل الأخلاق

هل تُراد لذواتها، أو للسعادة الحادثة(*) عنها على نوعين:

ذهب بعضهم إلى أن	وذهب آخرون إلى أن
المراد بالفضائل ذواتها لا لكونها(**) المكتسبة للسعادة	المراد بها السعادة الحادثة عنها لأنها الغاية المقصودة بها

واختلفوا في:

أخلاق الطبع والتطبّع

ذهب قوم	وقال آخرون	وقال آخرون	وفرّق أهل اللغة بينهما
إلى تفضيل أخلاق الطبع الغريزي على أخلاق التطبّع	بتفضيل أخلاق التطبّع على أخلاق الطبع	كل واحد منهما يحتاج إلى الآخر ولا يستغني عنه	فقالوا: الطبع هو الختم(***) والتطبّع هو الخلق
لقوة الغريزي وضعف المكتسب	لأنها قاهرة لأضدادها	لأن الأخلاق لا فك عنهما فهما بمنزلة الروح والجسد	

(*) في (خ) السعادة الحاصلة.

(**) في (خ) لأنها المكسبة للسعادة، وهذا السياق لا يتناسب مع المعنى.

(***)هكذا في (خ). وفي (ط) الخيم، ولعل الصواب ما أثبتناه (الختم) حيث أن معنى الطبع في اللغة: الختم، يُقال: طبع الله على قلبه: أي ختم وغطّى فلا يعي شيئاً - لسان العرب، ٢/ ٧٩٠.

أما **الدماغ** فهو مسكن الروح النفساني وفيه ثلاث خزائن



خزائن الدماغ



الخزانة الأولى

في مقدّمه: يشارك بها الحيوان، وفيها قوة الحس

البصر | **السمع** | **الشم** | **الذوق**

وجوهر هذه الروح الساكن بتجويف هذه الخزانة، مائل إلى الرطوبة حال الإعتدال، فإن مال إلى اليُبْس أبطأ إحساس(*) صاحبه

الخزانة الثانية

وهي في وسطه، ينفرد بها الإنسان وفيها قوة العقل

الفكر | **التمييز** | **الفهم** | **الرويّة**

وجوهر هذه الروح: معتدل المزاج، فإن خرج عن الإعتدال كان صاحبه رديء التمييز

الخزانة الثالثة

هي في مؤخّرِه ويشارك بها الإنسان الحيوان وفيها قوى ثلاثة:

الحركة | **الحِفظ** | **الذكر**

وجوهر هذه الروح مائل إلى اليُبس، فإن مال إلى الرطوبة كان صاحبه بطيء الذِّكر والحِفظ

(*) في (خ) أبطأ فهم صاحبه.

فمن حكمة الله تعالى أنه جعل قبول الصور في الروح التي في مقدّمه، وجعل حفظ هذه الصور في الروح التي في التجويف المؤخَّر منه، وجعل الفِكر والتمييز[1] في الروح التي في التجويف الأوسط، وجعل **الأول** مائلاً إلى الرطوبة، و**الأوسط** معتدلاً، و**المؤخَّر** مائلاً إلى اليبوسة.

المقدّم: **ليقبل المقدّم من الحواس صور الأشياء بسهولة.**

المؤخّر: ويحفظ المؤخَّر ما يرد عليه فلا يغيب عنه.

الأوسط: ويمَيِّز الأوسط بين الأشياء باعتداله.

فقد بان بما ذكرنا، عِلَّة اختلاف الناس في أخلاقهم وأفعالهم، وحصل لك الفرق بين هذه الأمور:

١- بين صواب الرأي وخطئه.

٢- بين جودة التخيل ورداءته.

٣- بين كثرة النسيان وقِلَّته.

٤- بين سرعة الفهم وإبطائه.

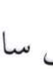
٥- بين قوة التمييز وضعفه.

٦- بين الذكاء والبلادة.

٧- بين العقل والحُمق.

---

(١) في (خ) وجعل الفكر والتمييز والفهم والرويّة.

وأمّا  **القلب** فقد جعل الله فيه روحاً تنفذُ منه إلى سائر العروق الضوارب[١]، التي هي **الشرايين**، فيكون الإنسان بها حيًّا، وبِبُطلانها ميِّتاً، ويُشارك بها الحيوان وبها يكون: **التنفس - النبض - والحرارة الغريزية.**

وفيه أيضاً **تجويفان** كما في الدماغ، بهما تكون أفعال النفس الحيوانية وهما سبب حياة سائر الحيوان.

أحدهما	الثاني
في الجانب الأيمن وفيه توجد السويداء(*)	في الجانب الأيسر وفيه من الروح أكثر من الجسد
وذلك سبب لوجود	وذلك سبب لوجود
الحرد - الغيظ - الجرأة	الرضا - السكون - العجز

وأمّا  **الكبد** فقد جعل الله فيه قوة بها نفوذ الغذاء إلى الأعضاء في العروق غير الضوارب ويشترك فيها الحيوان.

وفيه من القوى	وبها تكون شهوة
قوة الاغتذاء - والنماء - والتربية	المطاعم - والمشارب - والمناكح - وأشباهها

---

(١) الضوارب، أي الطويلة.

(*) السويداء: حبة القلب.

والسعادات

على رأي الفلاسفة تنقسم إلى هذه الأقسام

أما أفلاطون ومَن تقدّمه

فإنه يرى أنّها في النفس خاصة دون البدن وتنقسم على مذهبه إلى

أربعة أقسام

(٤) العدالة	(٣) العفة	(٢) الشجاعة	(١) الحكمة

وأما أرسطاطاليس ومَن أتى بعده

فقد شارك فيها بين النفس والبدن وقسّمها إلى

خمسة أقسام

الخامس	الرابع	الثالث	الثاني	احدها
في الثروة والغنى	**في الحمد والمحمد**	**في نجح الأمور**	**في جودة الفكر والرأي**	**في لطف الحسّ وصحة البدن**
وذلك إن اجتمع للمرء من معاشه ما يُمْكِنُه به مواساة أصدقائه والمستحقين ووضعه مواضعة ومن تهيأ له ذلك فهو كامل السعادة	وذلك إذا أحسن الناس الثناء على بعضهم بذكر الآثار الحسنة والشيم الزكية	وذلك يكون إذا استتم الإنسان كل ما روى فيه(**) وعزم على فعله	وذلك يكون بتعلم العلوم وحُسن الأدب وكثرة التجارب والله أعلم	وذلك يكون بسلامة الأعضاء واعتدال المزاج(*) كيما ينظر حسناً ويسمع جيداً، وكذلك باقي الحواس والله أعلم

(*) في (ط) والإعتدال إلى المزاج.

(**) روى فيه: أي فكّر فيه.

وتنقسم **الخيرات** عند الفلاسفة(١) إلى ما يلي:

عند أفلاطون ومن قبله إلى قسمين(*)

محمود عند كل أحد	ليس بمؤثر عند كل أحد
كالعدل والصدق والكرم، فإن ذلك محبوب محمود عند كل أحد	كالشجاعة والغِنى وما أشبههما فإنه ليس محبوباً مختاراً عند الجميع

عند أرسطوطاليس ومن بعده على ثلاثة أنواع(*)

أحدهما: في النفس	الثاني: في البدن	الثالث: خارج عنهما
كجودة الفضائل المذكورة فيها وحُسن عملها واعتدالها	كحُسن البدن وصحة أعضائه وسلامته من الآفات والعوارض	كالمال والسلطان والأصدقاء وسائر المقتنيات مما قوامه من خارج

والفضائل تنقسم إلى قسمين(**)

أحدهما	الثاني
ما أوجب ثناء المخلوقين وهو ما عاد نفعه عليهم	ما اقتضى ثواب الخالق وهو ما قُصِد به وجه الله تعالى

---

(١) (*) من إضافات المحقق لتوضيح الجدول.

(**) لم يفرّق المؤلّف بين موقف أفلاطون وأرسطو بصدد الفضائل.

ونقول: إن الأخلاق غرائز كامنة، تظهر بالاختبار وتقهر بالاضطرار، وللنفس أخلاق تحدث عنها بالطبع، ولها أفعال تصدر عنها بالإرادة، فهما ضربان:

أخلاق الذات وأفعال الإرادة، والإنسان مطبوع على أخلاق قَلَّ ما حُمِد جميعها، أو ذُمَّ سائِرها، وإنما الغالب بعضها محمود، وبعضها مذموم، فتعذر لهذا التعليل أن تَسْتَكْمَلَ فضائل الأخلاق طبعاً وغريزةَ، ولزم لأجله أن يتخلّلها رذائل الأخلاق طبعاً وغريزةً، فصارت غير مُنفَكَّةٍ من جبلة الطبع وغريزة الفطرة عن فضائل محمودة ورذائل مذمومة.

وإذا استقر ذلك، فالسعيد من غَلَبَت فضائِلُهُ على رذائِلِهِ، فقَدرَ بوفور الفضائل على قهر الرذائل، وسلِمَ من شيْنِ النقص، وسعِدَ بفضيلة الفضل. فالإنسان يستحق الحمد على الفضائلِ المكتسبة، لأنها مستفادة بفعله، ولا يستحق على الفضائل المطبوعة، - وإن حُمِدَت فيه -، لوجودها بغير فعلِه.

ومن القبيح أن يتحرّز المرء من أغذية البدن، كي لا تكون ضارّة، ولا يعنى بتهذيب أخلاق نفسه، ومداواتها بالعِلم - الذي هو غذاؤها -، كي لا يكون باطلاً وضارًّا، وإذا كنّا نعني بجميع أعضاء البدن، وخاصة بالأشرف منها، فبالحرِيّ أن نعني بأجزاء النفس، وخاصة بالأشرف منها، وهو العقل.

وكما أن الأمراض التي تعرضُ للبدن، إن لم يعلم الطبيب الأسباب الفاعلة لها، لم يتمكن من علاجها، فكذلك **عِلل النفس**، فينبغي أن نُعنَى بقلع أسبابها، فمتى أحسّ الإنسان بأنه قد أخطأ، وأراد أن لا يعود ثانياً فيُخطئ[(١)]، فلينظر أي أصل في نفسه حدث ذلك عنه، فيحتال في إزالته.

وبعد، فلو لم يكن إلى تغيير الأخلاق سبيل، لما كان للأقاويل التي أودعتها الحكماء كتبها في استصلاح الأخلاق معنى، إذ لم يُرْجَ لها نفعٌ ولا جدوى.

---

(١) غير موجودة في (ط).

وكذلك، لم يكن للمواعظ التي يقصدُ بها ذوو الأخلاق الذميمة من الأشرار معنى، إذا لم نطمع في انتقالهم عمَّا هم عليه من الشر.

وإذْ قد انتهينا إلى ما أردنا بيانه -في هذا الفصل[١]-، فلنختم الكلام فيه ههنا بعون الله تعالى ولُطفِه، والحمد لله وحده.

والسبيل إلى اعتقاد الإنسان الأخلاق المحمودة واستعمالها، واجتناب المذمومة وإهمالها:

ثلاثة أمور

الأول: بتمييز القوة الناطقة بأحوال ثلاثة
- بمداومة الاطلاع على كتب الأخلاق والسياسات والعمل بها
- بالتدرّج إلى استعمال العادات الجميلة وترك ضدها
- بتدقيق النظر في العلوم العقلية والبحث عنها

الثاني: بقهر القوة الشهوانية بأحوال ثلاثة
- بأن يجتنب مُجالسة السفهاء والخلعاء والنساء والأراذل
- بأن يكثر مجالسة الزهاد وأهل الاجتهاد وذوي الورع
- بأن يتذكر أوقات شهوته فيعدل إلى الجميل منها والأحسن

الثالث: بتبديل(*) القوة الغضبية بأحوال ثلاثة
- بأن يذكُرَ من يؤذيه أن لو كان هو المؤذى هل كان يختار ذلك لنفسه أو ينفر منه؟
- بأن يذكُرَ ما شاهده من طيش غيره فلا يرضاه لنفسه عند الغضب
- بأن يكسِر سورة الغضب بالرفق ويستعمله على القوة الشهوانية فقط

---

(١) غير موجودة في (ط). / (*) في (خ) بتعديل.

وقيل: أن الأحوال التي تلحق الإنسان على خمسة وعشرين وجهاً:

خمسة بالبخت	الولد	التزويج	الملك	المال	الجاه
خمسة بالعمل	الإثم	الثواب	الفلاحة	الفروسية	العلم
خمسة بالعادة	النوم	المشي	الجماع	الشرب	الأكل
خمسة بالجوهر	محبة الناس	الحرية	التواضع	الصدق	السخاء
خمسة بالسجية[١]	الشجاعة	التروي	الحزم	الذكاء	الفطنة

واعلم أن الله تعالى، خلق بدن الإنسان بحكمة وإتقان، إذ كان تبارك وتعالى تام الحكمة كامل القدرة، وكان من الحكمة والإتقان، أن لا تكون أفعال الإنسان كلها بعضو واحد من أعضاء بدنه، بل بأعضاء معدودة، لئلا ينال ذلك العضو آفة، فتبطل أفعال جميع البدن ببُطلانِه، لكنَّه خلق بدن الإنسان وركَّبه من أعضاء كثيرة، وجعل لكل منها قوة تخصّه، وجعل سبحانه وتعالى الأفعال الجليلة والقوة العظيمة، التي هي الأصول والينابيع في



(١) في (خ) خمسة بالحسب، ومعنى السجيّة: الطبع.

(*) تفصيلها في الصفحة التالية.

الأعضاء والوظائف الإنسانية
الدماغ - القلب - الكبد



ولا يخلو بجملته أن يكون

- **معتدل المزاج**: فتحصل له الحكمة فإن استعملها فهو المؤيد بالتوفيق
- **أو خارجاً إمّا إلى**:
  - **الحرارة**: فتميل أفعاله إلى الطيش والتهوّر
  - **أو البرودة**: فتميل أفعاله إلى الثِقَل والإبطاء



ولا يخلو بجملته أن يكون

- **معتدل المزاج**: فتحصل له الشجاعة المعتدلة ولا يحرد(**) في غير موضعه
- **أو خارجاً إمّا إلى**:
  - **الحرارة**: فتحدث الجرأة والقحة والغضب له
  - **أو البرودة**: فتحدث مهانة النفس والكسل له



ولا يخلو بجملته أن يكون

- **معتدل المزاج**: فيحصل له فضل العفة والقناعة والقصد في الأمور
- **أو خارجاً إمَّا إلى**:
  - **الحرارة**: فيحدث له الشّره والنّهم والمبالغة فيهما
  - **أو البرودة**: فيحدث له الكلال(*) وضعف الشهوة

(*) الكلال: العب والإعياء.

(**) الحرد: الغضب.

الفصل الثالث

في أصناف السيرة العقلية الواجب على الإنسان إتباعها والعمل بها

★ ★

اللهم صل التوفيق بقولنا ۞ والتصديق بعملنا ۞ والتحقيق بقلوبنا ۞ ولا تكِلْنا إلى أحوالنا[1] وقوتنا ۞ ولا تحل بيننا وبين ما يقربنا منك ۞ ويدنينا من بابك ۞ ويجيرنا من عذابك ۞ يا ذا الجلال والإكرام.

ذكر بعض العلماء أن:

المخلوقات بأسرها على أربعة أقسام(*)

الأول	الثاني	الثالث	الرابع
الذي له عقل وحكمة وليس له طبيعة ولا شهوة وهم	الذي له طبيعة وشهوة وليس له عقل ولا حكمة وهم	الذي ليس له عقل ولا حكمة ولا طبيعة ولا شهوة وهم	الذي له عقل وحكمة وطبيعة وشهوة وهو
الملائكة	الحيوان وغير الإنسان	الجماد والنبات	الإنسان

---

(١) في (خ) ولا تكِلنا إلى أنفسنا وحولنا.

(*) من إضافات المحقق لتوضيح الجدول.

ولما دخلت هذه الأقسام الثلاثة في الوجود، لم يبق من الممكنات إلّا القسم الرابع، وهو الذي يكون له عقل وحكمة وطبيعة وشهوة، وذلك هو الإنسان.

ولما ثبت في المعارف الحِكْمِيّة[١]، أنه تعالى عامُّ الفيض على الممكنات، اقتضى عُموم جُودِهِ إدخال هذا القسم في الوجود، فلهذا قال تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[٢]، لئلا يبقى شيء من الممكنات محروماً عن تأثير إيجاده.

فأوَّل نعمة أنعمها على الأعجم والفصيح **حياة الروح**، لأن بالحياة يذوق اللذات، وينال الشهوات، وهي نعمة عامة على جميع الحيوان، ليست بخاصة للإنسان، لكن النعمة التي هو بها مخصوص **العقل**، وبه حصل له النبل، وبقوته ملك الحيوان وقهره، وساس الأشياء ودبَّر، وأخَص منه **العلم**، وهو نتيجة العقل، وبه التفاضل بمقدار النقص والفضل، وبحسب الطلب والحث، وبقدر الفحص والبحث.

وغاية ما خُلقَ له الإنسان[٣]، وطلب منه العلم والعمل[٤]، وهو

---

(١) المعارف الحكمية: هي طائفة من العلوم العقلية الفلسفية التي تبحث في حقيقة الأشياء المحسوسة والتي يدركها العقل بالنظر ويقف عليها الإنسان بطبيعة فكره ويهتدي بمداركه البشرية إلى موضوعاتها ومسائلها. وقد قُسِّمت هذه العلوم إلى عدّة أقسام منها: العلم الإلهي، والرياضي، والطبيعي، ومنها العلوم العملية والنظرية، ومن العلوم الحكمية العملية: علم الأخلاق، والسياسة، وآداب الملوك وغيرها. (انظر القاموس الإسلامي - أحمد عطية الله - ٢/١٢٧ وما بعدها و٥/ ٤٦٠، ومقدمة ابن خلدون ٤٣٥).

(٢) سورة البقرة: [الآية رقم: ٣٠].

(٣) سقطت كلمة الإنسان من (ط).

(٤) في (خ) قرن العلم مع العمل بينما في (ط) سقطت كلمة (العلم).

الذي أحرى[1] إليه وأثبت عليه، وهو قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[2].

والحياة[3] والعقلُ هبة الماجِد الوهَّاب، والعلم والعمل دَّرجُ[4] العبد بالاكتساب، ولذلك استحق الإنسان بطلبهما جزيل الثواب، وبتركهما أليم العقاب، ولا حياة بالحقيقة لمَن لا روح له، ولا عقل لمَن لا حياة له، ولا علم لمَن لا عقل له، ولا عمل لمَن لا عِلم له، ولا ثواب لمَن لا عمل له، ومن لا يظفر من هذه النعم إلّا بروح الحياة، فقد سقطت عنه الكُلفَة، ومن أُعطِيَ العقل[5] فقد وجبت عليه الحكمة، ومَن أوتِيَ الحكمة فقد أُجْزِلَت له العطيَّة، ومَن عمل بعلمه فقد تمّت عليه النعمة، واجتمعت له الدنيا والأُخرى.

وقد سبق القول أن الذي خُلِقَ له الإنسان وأُريد منه أمران هما: **العلم** و**العمل**.

---

(١) أحرى: أجدر وأحق.

(٢) سورة الذاريات: [الآية رقم: ٥٦].

(٣) سقطت كلمة (الحياة) من (ط).

(٤) درج: طريق أو منزلة ومرتبة.

(٥) سقطت كلمة (العقل) من (ط).

العِلم

وينقسم إلى ثلاثة أقسام

العلم الأعلى	العلم الأوسط	العلم الأسفل
وهو علم الإلهيات ويأتي ذكره	وهو علم الرياضيات ويأتي ذكره	وهو علم الطبيعيات ويأتي ذكره
صاحبه ينظر في الأمور التي وجودها في العقل	صاحبه ينظر في الأمور التي وجودها في الذهن	صاحبه ينظر في الأمور التي وجودها في الحس

والعمل

وهو على ثلاثة أنحاء

سياسة الإنسان نفسه وبدنه	سياسة المنزل	سياسة أهل نوعه
وهي سيرته في نفسه بالأعمال الصالحة والأفعال الحسنة وتنقسم إلى قسمين	وهي سيرته مع أهله وماله(*) وولده وعبده وما لا غنى له عنه وينقسم إلى أقسام	وهي سيرته التي لا يستغنى عنها ما دام حيًّا وتنقسم إلى أقسام

(*) في (خ) [آله] بدل ماله.

أما **العلم الأعلى** فأربابه المُصْطَفون وينقسم إلى قسمين:

العلم الأعلى

- **العمل بالكتاب**
  - وينقسم إلى قسمين
    - اختلاف القراءات وأحوالها
    - علم المعاني والأحكام
  - وينقسم إلى قسمين
    - علم التأويل وينقسم إلى
      - النظر في فروع الدين
      - والاختلاف فيها
      - وأربابه هم الفُقهاء وهم على نوعين
        - أصحاب نص
        - أصحاب قياس
    - علم التفسير وينقسم إلى
      - قصص الكتاب
      - وأسباب نزوله
      - وأربابه هم المتكلمون وهو على أنحاء
        - إثبات التوحيد
        - معرفة الأسماء والأحكام
        - تصحيح النبوَّة
- **العمل بالسنة**
  - وقد اختص به المحدثون وينقسم إلى
    - معرفة مشاهير الحديث(*) الدائرة عليها أحكام الشريعة
    - معرفة المرفوع من الحديث والموقوف
    - معرفة تواريخ المشايخ ومواليدهم

(*) في المخطوطة (معرفة المشاهير من الحديث).

العلم الإلهي عند الفلاسفة(*)

أما العلم الإلهي عند الفلاسفة فينقسم إلى أربعة أقسام:

القسم الأول

في خروج كل خارج من القوة إلى الفعل وسبب القوة والفعل معاً

القسم الثاني

البحث عن مبادئ البراهين في جميع العلوم النظرية

القسم الثالث

الفحص عن الموجودات التي ليست بأجسام ولا في أجسام ولا تعلّق لها بالمواد

القسم الرابع

الفحص عن الشيء المتقدم لهذه الموجودات كلّها

وبيان فضيلة هذا العلم من وجوه ثلاثة(**)

الوجه الأول

إنه علم يَبْحَثُ عن علّة وما سواه يبحث عن المعلومات ولا شك أن عِلم العلّة أشرف(**)

الوجه الثاني

إنه علم يَبْحَثُ عن معنى هو النهاية وهو ربوبية الخالق تبارك وتعالى لأنها نهاية أوصاف الواصفين(**)

الوجه الثالث

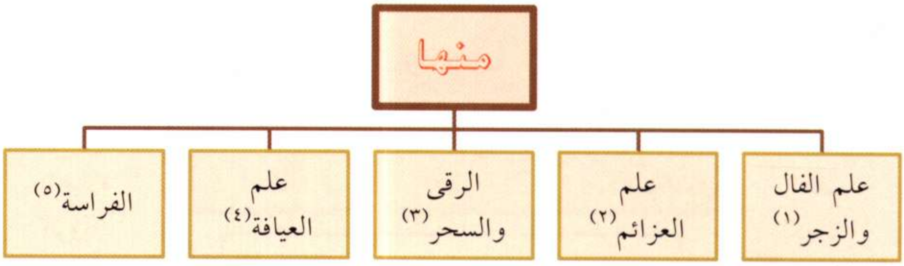
إنه علم يُبْحَثُ عنه بقوة العقل مجرَّدة ولا يُستعانُ فيه بشيء من القوى الحسيّة(**)

(*) لقد شُغِل المفكرون من العرب وغيرهم في إحصاء العلوم وتقسيمها واختلفوا في ذلك اختلافاً كثيراً بسبب الاختلاف في النظر إلى هذه العلوم على أساس ماهيتها أو طبيعتها أو تطبيقاتها.

والعلم الإلهي عندهم ينظر في الوجود المُطلق أو الموجودات التي وراء الحس أو ما وراء الطبيعة وهي الروحانيات، وهو عند المنطقيين علم شريف يزعمون أنه يوقفهم على معرفة الوجود على ما هو عليه، وأن ذلك عين السعادة في زعمهم، وقد ردّ عليهم كثير من العلماء ومنهم ابن تيمية الذي أثبتنا بعض أقواله في مقدمتنا - ص١٧-١٨، في هذا الكتاب.

(**) العبارات الواردة في الصناديق الثلاثة لا وجود لها في (خ).

ويتصل بالعلم الأعلى علوم عدّة اختلف الناس فيها:



(١) الفأل أو الفال: ضد الطّيرة، سُئل رسول الله (ﷺ) عن الفأل فقال: «الكلمة الطيبة»، والطّيَرَة لا تكون إلّا فيما يسوء، أما الفأل فيكون فيما يسر ويسوء. والزجر: المنع والنّهر. والزجر للطير وغيرها للتيمّن بسنوحها والتشاؤم ببروحها، وهو ضرب من العيافة والكهانة المنهي عنهما شرعاً. (انظر فتح المجيد بشرح كتاب التوحيد ص٢٤٩، ولسان العرب لابن منظور (٤/ ١٠٤٢ و٣/ ١٢١).

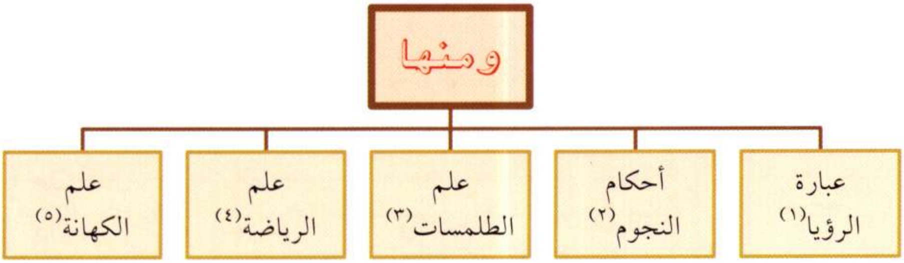
(٢) العزائم: منها الرقية الشرعية الجائزة بشروط، ومنها الرقى التي يعزم بها على الجن والأرواح.

(٣) الرّقية: العوذة التي يُرقى بها صاحب الآفة، وهي جائزة بشروط ثلاثة، أن تكون بكلام الله أو أسمائه وصفاته، وباللسان العربي وما يُعرف معناه، والاعتقاد بأنها لا تؤثر بذاتها بل بتقدير الله تعالى. (انظر فتح المجيد، مرجع سابق، ص٩٦. ولسان العرب ٢/ ١٢١٢).

(٤) العيافة: في الحديث (العيافة والطرق والطيرة من الجبت) أي السحر، وهي زجر الطير والتفاؤل بأسمائها وأصواتها وممرها، وهي من عادات العرب في الجاهلية. (انظر فتح المجيد ص٢٣١).

(٥) الفراسة: التثبت والتأمل والبصر بالشيء، قال ابن الأثير: تقال الفراسة بمعنيين: أحدهما: ما دل ظاهر حديث الرسول ﷺ: اتقوا فراسة المؤمن» وهو ما يوقعه الله تعالى في قلوب أوليائه فيعلمون أحوال بعض الناس بنوع من الكرامات وإصابة الظن والحدس. والثاني: نوع يتعلم بالدلائل والتجارب والخلق... فتُعرف به أحوال الناس. (لسان العرب ٤/ ١٠٧٢).

(تابع)



---

(١) عبارة الرؤيا: يقال: عبَر الرؤيا أو عبّرها: أي فسّرها وأخبر بما يؤول إليه أمرها، قال تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾، (لسان العرب ٤/ ٦٦٧).

(٢) أحكام النجوم: وهو ما يُسمّى بعلم الهيئة أو الفلك: وهو الذي ينظر في حركات الكواكب، ويستدل من تلك الحركات على أشكال وأوضاع لزمت عنها لهذه الحركات المحسوسة بطرق هندسية... (مقدمة ابن خلدون ص٤٨٧).

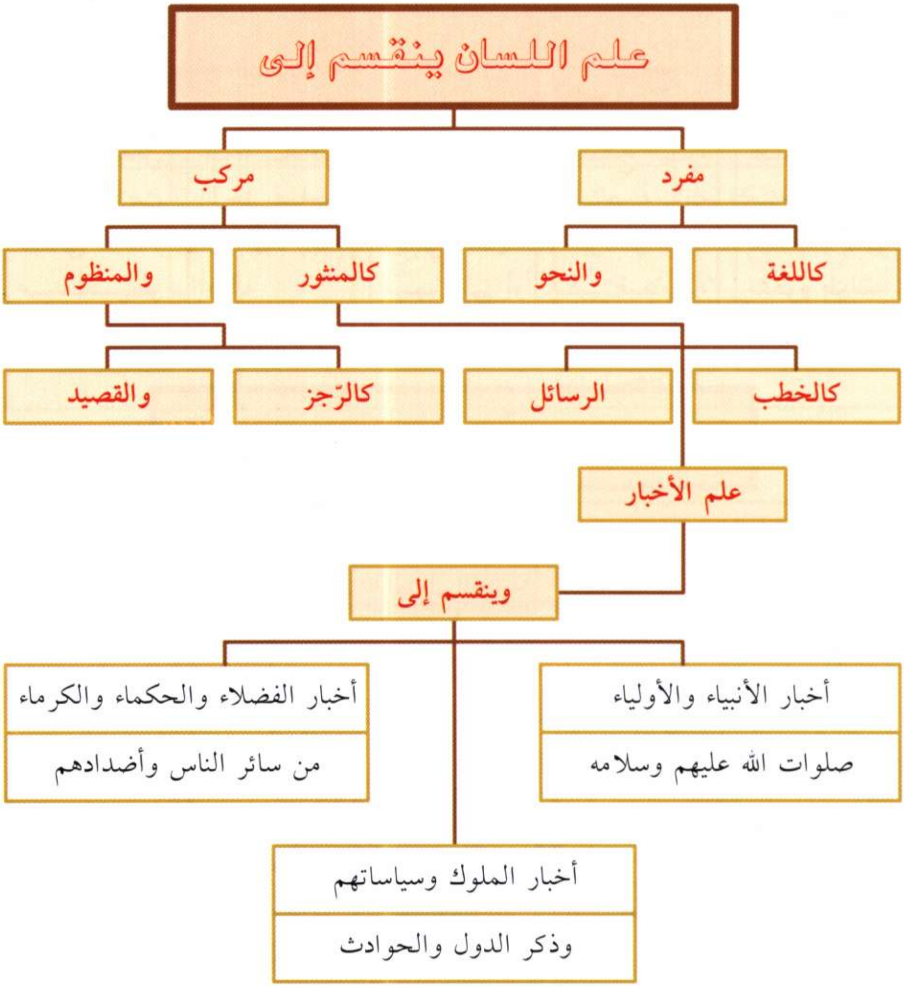
(٣) الطلسمات: من العلوم المنقرضة القديمة، وهي علومٌ بكيفية استعدادات تقتدر النفوس البشرية بها على التأثيرات في عالم العناصر بمُعين من الأمور السماوية كالكواكب، وهي كالسحر. والفرق بينها وبين السحر؛ أن النفس الساحرة تقتدر على التأثير بلا معين، ولا بد للطلسمات من معين، هذا ولا يزال البعض في أيامنا يدّعون هذا العلم من باب الشعوذة والتحايل على ضعاف النفوس استدراراً لمالهم. (انظر: مقدمة ابن خلدون ص٤٩٦، ودائرة المعارف ١١/ ٣٣١).

(٤) علم الرياضة: سقط هذا العلم من (ط)، ولعله فرع من العلوم العددية التي غرضها إدراك المقادير كالحساب والجبر والمساحة وغيرها.

(٥) الكاهن: هو الذي يأخذ عن مسترق السمع، وكل مَن يدّعي معرفة علم شيء من المغيبات فهو إما داخل في اسم الكاهن، وإما مشارك له في المعنى، فيلحق به. (انظر: فتح المجيد، شرح كتاب التوحيد ص٢٣٨ وما بعدها).

وأما العلم الأوسط فهو علم الرياضيات

وليقدم عليه **تقويم اللسان** - إذ كان أول مُشْتَغَلٍ به ومُفْتَقر إليه - وهو داخل في هذا القسم فنقول:



وينقسم أيضاً إلى هذه القسمة(*)

١	٢	٣	٤	٥
الأمر والنهي والتحريض	الشكاية	الاعتذار	المديح	الهجاء
كما يأمر بفعل أمر أو يحرّض على لقاء عسكر أو ينهى عن منكر	كما يشكو الرجل صاحبه أو زمانه ويذم أفعاله	كما يعتذر المرء عن فعله ويُدلي بحجته فيما أتى أو قيل عنه	كمدح المرء صاحبه بأنه خير، أو مدحِه كبير قوم رجاء منفعةٍ	كذم المرء صاحبه أو مَن أساء إليه بذكر مذموم طرائقه

وينقسم أيضاً إلى(**)

علم الألفاظ المفردة وقوانينها	علم الألفاظ المركبة وقوانينها	علم قوانين أصول الكتابة	علم قوانين تصحيح القراءة	علم قوانين الأشعار

وينقسم إلى(***)

كلام الوُلاة	كلام البُلغاء	كلام السوقة	كلام الجدل	كلام الصنّاع
هو الذي يستعمله وُلاة المُدن في محافلهم ويقصدون به التفخيم	هو الذي يستعمله الفُصحاء في إظهار بلاغتهم	هو الكلام المرذول المستعمل بين العوام	هو الذي يبحث به أهل الجدل بعضهم لبعض بقصد الإيجاز	هو اصطلاح أرباب الصناعات من صناعاتهم

(*) الكلام عن علم اللسان.

(**) الكلام عن علم اللسان وفي المخطوطة (ينقسم أيضاً إلى خمسة أقسام).

(***)هذ أقسام علم الألفاظ المركبة الذي هو من أقسام علم اللسان.

وصواب البلاغة والمنطق ينقسم إلى هذه الأقسام(*)

الرابع	الثالث	الثاني	الأول
أن ينطق متى ينبغي	أن ينطق كما ينبغي	أن ينطق بقدر ما ينبغي	أن ينطق بما ينبغي
وذلك أن يكون كلامه عند الحاجة إليه فقط	وذلك أن يخاطب كل طبقة بما يليق بهم	وذلك بقدر الحاجة فإن زاد كان بذَراً وإن نقص كان خصراً(**)	وذلك ان يتكلم بما ينتفع به السامع والقائل لا غير

وصناعة المنطق تابعة لما قدمنا وتنقسم إلى خمسة أقسام

وإما أن يؤدي إلى الباطل المحض	وإما أن يؤدي في أكثر أحواله إلى الكذب، وقد يصدق يسيراً	وإما أن يؤدي بالسواء إلى الحق مرةً وإلى الباطل أُخرى	وإما أن يؤدي في أكثر أحواله إلى الصدق، وقد يكذب يسيراً	إما أن يؤدي إلى الحق المحض والصدق في سائر أحواله
ويسمى شعريًّا	ويسمى سوفسطائيًّا	ويسمى خطابة	ويسمى جدلاً	ويسمى برهاناً
وهو صناعة التخييل	وهو صناعة المغالطة	وهو صناعة الاقناع	وهو صناعة الظُّنون	وهو صناعة اليقين

(*) في (ط) ينقسم إلى أقسام يأتي ذكرها.

(**) بذراً: من التبذير والإسراف، وخصراً: من الإختصار.

والرياضيات على رأي الفلاسفة تنقسم إلى أربعة أقسام(*)

الأول: علم العدد

- **نظري**: هو الذي ينظر في الأعداد المجرّدة عن الأجسام بالإطلاق
- **عملي**: كالذي ينظر في الأعداد من حيث هي معدودات كالدراهم

الثاني: علم الهندسة

- **نظري**: النظر في الخطوط وغيرها مما لا تعلُّق لها بمادة ولا جسم
- **عملي**: كعمل الخطوط والسُّطوح إذا كانت في مادة كالحديد والخشب

الثالث: علم الهيئة(**)

- **نظري**:
  - النظر في الأجرام العلوية
  - النظر في حركات الأجرام ودورانها
  - النظر في الأرض وكونها ساكنة بجملتها
- **عملي**: هو الذي يؤدي إلى الأحكام واتخاذ آلات الرصد

الرابع: علم الموسيقى

- **نظري**:
  - النظر في مبادئ هذا العلم
  - استخراج النغم وأصنافه
  - اتخاذ ما حصل بالبراهين في الآلات
  - النظر في أنواع الإيقاعات
  - تأليف الألحان على طريق الإجمال
- **عملي**: هو الذي يصنع الألحان ويضعها على الآلات

(*) سقطت كلمة الفلاسفة من (ط).

(**) وهو علم الفلك وقد سبق تعريفه.

وصناعة الهندسة
تنقسم إلى خمسة أقسام

- **القسم الأول**: في الخطوط والسطوح ولواحقها
- **القسم الثاني**: في المجسمات من المكعَّب والمدوَّر وأنواعها
- **القسم الثالث**: في المناظر من الامتداد والانعكاس
- **القسم الرابع**: في مراكز الأثقال واستخراج كميات الأجرام
- **القسم الخامس**: في الحيل وعمل الآلات النجومية والأواني

وصناعة الموسيقى
تنقسم إلى ثلاثة أقسام

- **القسم الأول**
  - **ما يستعمل الفم وحده**
  - بمنزلة الأصوات وتركيبها في الحنجرة
- **القسم الثاني**
  - **ما يستعمل الفم واليدين جميعاً**
  - بمنزلة الإيقاع والضرب بالعود وأمثاله والآلات على نوعين
    - **صناعية**: كالعيدان والمزامير
    - **طبيعية**: كالحنجرة واللهاة
- **القسم الثالث**
  - **ما يستعمل اليدين خاصة**
  - بمنزلة ضرب الدَّف والطبل وأشباههما

وأما العلم الأسفل

فهو **علم الطبيعيات** وصاحبه هو الذي ينظر في طبائع الموجودات وكيفية العناصر وتركيباتها وأفعالها في النبات والمعدن والحيوان، وينقسم إلى

أقسام

الأول	الثاني	الثالث	الرابع
معرفة العناصر التي هي أركان العالم وكيفية امتزاجها وتركيبها	معرفة القوى المدبرة لأبدان الحيوان: **وهي أربعة**	معرفة عللها وأعراضها وأمراضها ودلائلها على كل مرض وسائر أسبابها	معرفة الأدوية المفردة والمركبة واستعمالها في استجلاب الصحة المفقودة وحفظ الموجودة وهي **صناعة الطبيب** وتنقسم إلى

القوى الأربعة: **جاذبة** - **ممسكة** - **مغذية** - **دافعة**

خمسة أقسام

احداها	ثانيها	ثالثها	رابعها	خامسها
بالعقاقير	**بالحديد**	**بالأغذية**	**بالدلالات**	**بالمعونة**
كالذي يداوي باستعمال الأدوية المفردة والمركبة	كالذي يداوي بالقشط والقطع والكي وأشباه ذلك	هو الذي يسوس المريض بالأطعمة والأشربة	كالذي يكون خبيراً بالدلالة على الدواء والأمراض	كالذي يخلص من الأوجاع بالمعونة من خارج

الناس طبقات ثلاث، والسيرة الصالحة محور التمييز بينهم[1]:

واعلم: أن كل إنسان إذا رجع إلى نفسه، وتأمّل أحوالها بعين بصيرته، وأحوال غيره من الناس، وجد نفسه في رتبة يُشرِكه فيها طائفة منهم، ووجد فوق رتبته طائفة، هم أعلى منه بجهة أو جهات، ووجد دونها طائفة هم أوضع منه بجهة أو جهات، لأن العظيم منهم وإن وجد نفسه في محل لا يرى لأحد من الناس في زمانه منزلة أعلى من منزلته، فإنه إذا تأمل حاله وجد في الناس من يَفْضُلُه بنوعٍ من الفضيلة، وكذلك الوضيع الخامل، يجد مَن هُو أوضع منه بنوع من الضِّعة، إذ ليس في أجزاء العالم ما هو كامل من جميع الجهات. فانتفاع المرء بالسيرة الصالحة بين هؤلاء الطبقات الثلاث، إمَّا مع العُظماء فليقرُب من مرتبتهم، وإمّا مع الأكفاء فليفضُل عليهم، وإمَّا مع الأوضعين قليلاً فلينحطّ إلى رُتبتهم.

ونقول: إن أنفع الطُرق التي يسلكها الإنسان فيما تقدم، هو أن يتأمل أحوال الناس وأعمالهم وتصرفاتهم، مما يشاهد ويسمع، ويُقسِّم النظر فيها، ويميِّز بين محاسنها ومساوئها، وبين النافعَ لهم والضارَّ منها، ويجتهد حينئذٍ في التمسك بمحاسنها، لينالَه من منافعها ما نالهم، وفي التحرّز من مساوئها ليأمن مضارَّها، ويسلم مثل ما سلِموا.

وليعلم أنَّ المقصودَ من العبادات والطاعات والتخلق بجميل الأخلاق، انقطاع النَّفْس عن عالم المحسوسات، وإقبالها على عالم الروحانيات، حتى إن الإنسان عند الموت، يفارق من المنافي إلى الملائم[2]، ومن قصد باستعمال الطاعات والعبادات غير ذلك، فقد

(١) من إضافات المحقق.

(٢) الملائم والمنافي: من اصطلاحات المنطقيين، والملائم يعني، ما تقبله وتجده موافقاً لرغبتك، ويقابله المنافي وهو ما تكرهه وتنفر منه. والملائم عندهم أعم =

أحكم العلاقة مع عالم المحسوسات، وبالَغ في الفرار من عالم الروحانيات، فعند المفارقة، ينتقل من الملائم إلى المنافي نعوذ بالله من ذلك ونسأله أن ينظمنا على ابتغاء رضوانه، ويلم شعثنا بضروب إحسانه، ويختم أعمالنا برحمته وغفرانه، ويسهل علينا طِلاب ما أعدّه لأوليائه، إنه على كل شيء قدير.

قد ذكرنا في هذا الفصل، أن العمل المطلوب من الإنسان ينقسم إلى ثلاثة أقسام، وبيَّناها هناك، وسنفرد الآن كل قسم ونتكلم عليه، وبالله سبحانه وتعالى المستعان، وعليه التكلان، ولا حول ولا قوة إلّا به[1].

= من اللذيذ، والمؤلم أخص من المنافي. – المعجم الفلسفي – ٢/ ٤١٥.

(١) العبارة من [وبالله سبحانه... به] غير واردة في (خ).

القسم الأول في سيرة الإنسان في نفسه وبدنه

سيرة الإنسان في نفسه	سيرة الإنسان في بدنه
وذلك باستعمال ما قدمنا ذكره من إصلاح أخلاقها وتجويد أفعالها واجتهادها في بلوغ الكمال	وذلك بصناعة الطب وتنقسم إلى: حفظ صحة موجودة، وارتجاع صحة مفقودة، وذلك أن الإنسان مضطر إلى هذه الأحوال مدة حياته

الهواء	الطعام والشراب	الحركة والسكون	النوم واليقظة	الاستفراغ	الجماع
لكونه خلفاً لما يتحلل من روحه ومعدلاً لحرارته الغريزية	ليصير خلفاً لما يتحلل من جسمه ويحفظ رطوبته	ليتصرف في ضرورياته ويستريح وقت حاجته للراحة	لاستراحة القوى النفسانية وتتميم الأفعال الطبيعية	لإخراج ما لا حاجة إليه من فضول البدن	ليبقى النوع. إذ لا سبيل إلى بقاء الشخص(*)

وصحة بدنه تحفظ بتعديل هذه الأمور

في الكمية	والكيفية	والزمان	والترتيب	وتدارك الخطأ
بأن يعدل مقدارها بحسب الحاجة بغير زيادة ولا نقصان	بأن يختار منها ما هو أوفق وأصلح	ليستعمل كل حاجة في وقتها وأوانها	ليقدم ما يجب تقديمه ويؤخَّر ما يجب تأخيره	من قبل أن يحدث ضرر أو مرض

(*) من المفروض تكملة العبارة بلفظ (إلّا به) أو (دون ذلك).

القسم الثاني في سيرة الإنسان

في(*)

- **المال**: به يمكن الإنسان التوصل إلى مآربه
- **الزوجة**: هي ربّة المنزل وشريكة الرجل فيه
- **الولد**: وهم الخلف والذرية وهم قوام الأنس
- **العبد(**)**: وهم خدم المنزل والقوام به
- **التدبير**: وهو إجراء أموره على الصواب



(*) في (خ) سيرته في خمسة أشياء.. وذكرها كما هنا.

(**) في (خ) العبيد.

سيرة الإنسان في ماله[1]

أمّا المال : فإنَّه لمَّا كان الإنسان منتقصاً دائم التحلّل، احتاج إلى أن يستمد من الغذاء مكان ما يتحلّل منه بالحركة، ولمَّا افتقر إلى الأغذية، وجد أعدلها وأوفقها له: **الحيوان والنبات**، وكلاهما يحتاج إلى مراعاة.

أمَّا الحيوان : فيحتاج إلى أن يُحفظ ويُغذى، ويكنَّ من الحرِّ والبرد.

أما النبات : فيحتاج إلى أن يُزرع ويُغرس ويُسقى ويُربى، إلى غير ذلك، واحتاج أيضاً لجمع الغذاء واتخاذه إلى صناعات أُخَرَ كثيرةٍ.

وذلك هو السبب في إتخاذ المدن والممالك، وسنذكره إذا انتهينا إليه في الفصل الثالث[2] من الكتاب، فإن النجَّار يحتاجُ إلى الحدَّاد، والحدَّاد يضطر إلى صناعة أصحاب المعادن، وتلك الصناعة تحتاج إلى البنَّاء.

وكُل واحدة من هذه الصناعات - وإن كانت تامَّة في نفسها - فإنها تحتاج إلى الأُخرى، كما تحتاج بعض أجزاء السلسلة إلى بعض، فوقع الاضطرار إلى التعاون، والتعاضُد، والتساعُد، ولم تكن حاجة كل واحد منهم في وقت حاجة صاحبه - في أكثر الأوقات - ليعنوا بالمعاوضة والمقايضة، ولم تُعلَم قِيَم الأشياء وأُجرة الصناعات، فاحتيجَ حينئذ إلى شيء يُثَمَّنُ به جميع الأشياء، وتُعرف بِهِ قِيَمها، فمتى احتاج الإنسان إلى شيءٍ ما، دفع ثمنه أو وَزَنَ أُجرته من هذا الجوهر النفيس، فقد بان بما ذكرناه، أنه من صار في يده شيء من هذا الجوهر - الذي سمَّيناه - فكأن الأنواع التي يحتاج إليها كلها قد حصلت في يده.

(١) من إضافات المحقق.

(٢) المقصود الفصل الرابع لأنه احتسب المقدمة فصلاً.

ويحتاج المال إلى أمور ثلاثة

هي

١ اكتسابه

يجتنب في الاكتساب هذه النقائص

- **الجور**
  - كالبخل في الوزن
  - الجحود للحق
  - التطفيف في الكيل
  - المغالطة في الحساب
- **العار**
  - كمثل الشتم والصفع والإهانة
  - واحتمال أشباه ذلك طلباً للكسب
- **الدناءة**
  - بأن يترك صناعة آبائه من غير عجز
  - أو ينتقل عن تلك الصناعة إلى أدون منها

٢ وحفظه

يحتاج في ذلك إلى هذه الأحوال

- **أحدها**: أن لا يكون ما ينفق أكثر مما يكسب
- **ثانيها**: أن لا يكون ما ينفق مساوياً لكسبه
- **ثالثها**: أن لا يكون يمد يده إلى ما يعجز عن القيام به
- **رابعها**: أن لا يستعمل ماله في شيء يبطئ خروجه عنه

٣ وإنفاقه

ينبغي أن يحذر فيه هذه الأمور

- **اللوم**: هو الإمساك عن الإنفاق في أبواب الجميل
- **التقتير**: هو التضييق فيما لا بد منه مثل أقوات العيال
- **السرف**: هو الانهماك في الشهوات واللذات
- **البذخ**: هو أن يتعدى المرء ما يتخذه أهل طبقته مباهاةً
- **سوء التدبير**: هو أن ينفق في غير ضرورة ويهمل الأهم من أموره ويؤتى من قبل أنه لا يعرف مقادير النفقة، لا مال يحفظ صاحبه ولا بلذَّة يتمتع، ويؤتى صاحبه من قبل أنه لا يعرف الواجب، ويؤتى صاحبه من قبل أنه لا يعرف طرق الجميل.

والذي يجب على الإنسان

في ماله

١	٢	٣	٤	٥	٦
أن يعرف أبواب الجميل ويرغب فيها ويبتغيها(*)	أن يعرف الحق اللازم ويوجبه على نفسه	أن لا يقصد الإنفاق(**) على شهواته ولذَّاتِهِ	أن لا يتعدى ما يفعله أهل طبقته	أن يعرف استحقاق كل حال مما يحتاج إليه(***)	أن يكون إنفاقه كرماً لا تبذيراً وإسرافاً

فإذا فعل ذلك نُسِبَ إلى كل خلقٍ محمود



(*) في (خ) إضافة، ويستميل إليها.

(**) في (خ) في الإنفاق. والقصد في الشيء خلاف الإفراط وهو ما بين الإسراف والتقتير. أنظر لسان العرب ٥/٩٦.

(***) في (خ) أن يعرف مقادير استحقاق ما يحتاج إليه.

سيرة الإنسان في الزوجة[١]

والزوجة تُراد لشيئين:

أحدهما: من طريق الرأي[٢]

وذلك أن أكثر اشتغال الرجل خارج منزله، فهو مضطر إلى الخُروج عنه، ولا بُدَّ له إذ هو كذلك، مَنْ يحفظه له ويدبر له ما فيه، وليس يُمكن أن يبلغ أحد من العناية بشيء غيرِه ما يبلغه بشيء نفسه، فلما كان الأمر كذلك، كان أصلح الأشياء للرجل أن يكون في منزله شريك يملِكه كمِلكه، حتى يعنى به كعنايته، ويكون تدبيره كتدبيره، فهذا هو الباب الذي دعى الرأي إليه، ودلَّ على الاختيار، **والغرض من ذلك أمران:**

أحدهما: النفس[٣]: وهو صحَّةُ العقل وجودته والعمل به.

والآخر: البدن[٤]: وهو صحَّةُ البدن والبِنية، وكمال الأعضاء وبعض الحس.

ومتى خلت من هذين (الأمرين) [٥]، فليس مع سُقم البدن وفساد القعل نجابةٌ أصلاً.

---

(١) من إضافات المحقق.

(٢) الوظيفة الأولى للزوجة وهي إدارة المنزل.

(٣) (٤) في (خ): من النفس - من البدن.

(٥) سقطت من (ط).

الثاني: من طريق الطبع(١)

وهو أن الخالق تعالى، لمَّا جعل الناس يموتون، وقدَّر بقاء الدنيا إلى وقت ما جعلهم يتناسلون، وجعل التناسل من شيء يجتمع فيه الحرارة والرطوبة،

فأما الحرارة: فلأن النشوء والنماء والحركة لا تكون إلّا بها.

وأما الرطوبة: فلأن الإنطباع والتصوير على اختلاف مقاديره وأشكاله، لا يكون إلّا فيها، وليس للرطوبة مع الحرارة ثبات ولا بقاء، لأن الحرارة تحلِّلُها وتفنيها.

فلما كان لا يوجد من كل واحد منهما في بدن واحد، مقدار القوة التي يكون منها الولد(٢) من ذكر وأنثى، لأن الحرارة في الذِّكر أقوى(٣)، والرطوبة في الأنثى أكثر، فإذا ألقى الذّكر في الأُنثى من الحرارة ما قدَّر الباري عزَّ وجل أن يكون من مثله الولد(٤)، استمدَّت تلك الحرارة من رُطوبة الأُنثى ما يكون منه تمام الخِلقة، بقدرة الله تعالى وتقدَّس.

---

(١) الوظيفة الثابتة للزوجة وهي وظيفة التناسل.

(٢) تضيف (خ) عبارة «فكذلك صار الولد».

(٣) في (ط) أكثر.

(٤) سقطت كلمة (الولد) من (خ).

وليس ينبغي أن يكون قصد الرجل من المرأة

هذه الأمور

٣ ولا جمالاً	٢ ولا مالاً	١ لا حسباً
لكثرة من يرمُقه ببصرِهِ، فيكون سبباً لفساد صاحبه.	لكونه يُبطِر الرجل ويُفسد حاله، هذا مع فضيلة الرجل، فما ظَنُّك بالمرأة ونقصانها!	لكونه يدعو صاحبه إلى الاتِّكال عليه، ويترك كثيراً ممّا يزيِّنُه.

فإنه: متى قصد واحِداً من هذه، وكان موجوداً عند المرأة، رأت أنه قد ظفر ببغيته منها، ولم يبقَ عليها شيء تتقرَّب به إليه، فقصَّرت في تدبير منزله الذي أرادها له وفسد حاله.

وينبغي أن يستعمل صاحب المرأة هذه الأحوال الستة

وهي(*):

الأولى	الثانية	الثالثة	الرابعة	الخامسة	السادسة
أن يبدأ فيُفْهِمَهَا، أنَّه لم يُرِدها للولد، دون العناية بمنزله وتدبيره.	أن يأمُرَها بحفظ منزله، في حضوره وغيبته، وصحته ومرضِه، وسائر أحواله.	أن لا يُمكِّنها من رأس مالِه، ولا يُظهِر لها وُلوعاً وعشقاً مفرطاً.	أن يكتم أسراره عنها، ولا يُطمِعَها في مُطاوعته إياها، ولا يستشيرها في شيء.	وأن يقتصر على الواحدة ما أمكن، فهو أدعى للنظام.	إذا أبتُلي بصاحبةٍ رَديَةٍ، فليحْتَل في الخلاص منها، أسرع ما يقدر عليه.

(*) هذه القواعد التي يجب أن تُبنى عليها علاقة الرجل بزوجته.. بنظر المؤلف.

سيرة الإنسان في الولد[1]

وأمّا الولد: فينبغي أن يُؤخذ بالأدب من صِغَرِه، فإنَّ الصغير أسلس قياداً وأسرع مواتاةً[2]، ولم تغْلِب عليه عادة تمْنَعُهُ من اتباع ما يُراد منه، ولا له عزيمة تَصرِفه عمّا يُؤمَر به، فهو إذا اعتاد الشيء ونشأ عليه، - خيراً أو شرًّا -، لم يكد ينتقل عنه، فإن عُوِّدَ من صباه المذاهب الجميلة، والأفعال المحمودة، بقي عليها ويزيد فيها إذا فهمها، وإن أُهمِل حتى يعتاد بما تميل إليه طبيعته مما غلب[3] عليها، أو عُوِّد أشياء رديَّةً مما ليس في طبيعته، ثم أُخِذ بالأدب بعد غلبة تلك الأمورعليه، عسُرَ انتقاله مع الذي يؤدّيه، ولم يكد يُفارِث ما جرى عليه، فإن أكثر الناس إنما يؤتون في سوء مذاهبهم من عادات الصِّبا.

واعلم أن أصلح الصبيان، مَن كان منهم على الحياء وحُب الكرامة، ومَن كانت له ألفة، فإذا كان كذلك كان تأديبه سهلاً، ومَن كان من الصبيان بالضد، عَسُرَ تأديبُه، ثم لا بُد لمن كان كذلك، من تخويف عند الإساءة، وتحقيق[4] ذلك بالضرب إذا لم ينفع التخويف، ثم الإحسان إذا أحسن.



---

(١) من إضافات المحقق.

(٢) المواتاة: حسن المطاوعة والموافقة، والامتناع خلاف ذلك - لسان العرب، ١٦/١.

(٣) في (ط) مما أغلّ عليها.

(٤) في (ط) ثم تحقيق ذلك.

فمما يجب أن ينشأ عليه(*)

حُسن التأديب - حُسن التشبيه - حُسن التربية

- **حُسن التأديب**
  - **جسماني**
    - بالفروسية ومشاهدة المعارك
    - في الأكل والشُرب والنوم واليقظة
    - في سائر الحركات والتصرفات
  - **نفساني**
    - بالنظر في أمور الشريعة
    - وتعلم العلوم والآداب
    - وإمداد الرأي بمشورة العلماء
    - وتصفُّح الكُتب والسِيَر
- **حُسن التشبيه**
  - بتلقين كلام حسن لا فحش فيه
  - وأن يُمنع من عَوَرِ الكلام
  - لا يمدح ولا يذُم(**)
- **حُسن التربية**
  - اختيار مذهب جميل
  - وعادات مرضِيَّة
  - تعذيبه بلين لا آفة فيه
  - تحفُّظ بقانون الصحة

(*) الكلام عن تنشئة الولد. / (**) في (ط) لا يمزح ولا يذم.

وللولد حالان(*)

حال في صغره عند التربية يؤخذ بهذه

- يجب أن يُصَغَّر الطعام في عينه ويُقَبِّح لديه الشّره والنَّهم
- ويؤمر أن يأكل من بين يديه خاصة، ولا ينظر إلى أحد من الحُضَّر
- ويعوَّد القناعة بأدوَن الأطعمة، ويُؤمر بخدمة الناس
- ويجعل طعامه وقت الفراغ من وظائف الاشتغال
- ويجعل عادته السخاء والخدمة، ويُمنع من التكاسل، ويُحَثّ على النشاط
- ويُحذِّر من الأقوال القبيحة كالشتم والحلف
- ويعاقَب على الكَذِب والقِحَّةِ
- ويُبَغِّضُ إليه الذهب والفضَّة ويُمنع من سماع حديث المباهاة
- ويُؤذَن له في اللعب اليسير الخالي من السَّفه

حال في بلوغه رقّ التأديب يجب أن يؤخذ بهذه

- ينبغي أن يُطلب له معلِّمٌ عاقلٌ حسن العلم يبتدئ به في كتاب الله تعالى لا يشغله بغيره
- ثم يُعلَّمُ الكتابة والقراءة، ويُحرَّض على تجويد الخط
- ويُعرَّف طرفاً من اللغة والنحو بقدر قوته ويعتني بشيء من البلاغة والرسائل
- ثم يُراض خاطره بالحساب والهندسة واستخراج المجهول بالمعلوم
- وليعتنِ بالفضائل المختارات وإعرابها ومعانيها
- وليشتغل بطرف من الفقه، ويُطالع كُتُب الأحاديث
- ويُؤمر مع ذلك بإكرام مُعلِّمه والمبالغة في خدمته ويَعرِف حقَّه
- فعند ذلك يبلغ إلى حال يتناول فيه ما ينفعه ويدفع عنه ما يضُرُّهُ

(*) هذه قواعد تربية الولد في مرحلتي الطفولة والبلوغ. ومعنى رق التأديب: أي سن التأديب. ومعنى القحَّة: الوقاحة.

سيرة المرء مع العبيد(*)

وأما العبيد فثلاث

عبدُ الطبع

هو الذي بدنه قوي على التعب، وليس له في نفسه تمييز ولا معه من العقل إلّا مقدارٌ ينقادُ لغيره ويقرُب من البهائم

عبدُ الرقّ

هو الذي أوجبت الشريعة عليه العبودية وينقسمون إلى ثلاثة أقسام

عبدُ الشهوة

هو الذي لا يملك نفسه لغلبة شهوته وخواطره، ومَن كان كذلك فهو عبدُ سوء لا يُنتَفع بِهِ

هي

الأول

يُراد للمنزل

ينبغي أن يكون حسن الوجه، جميل الأخلاق، لطيف الشكل، ذكيًّا، فطناً، عاقلاً

وهذا بمنزلة الحواس، لأن الإنسان بهم يَعرِفُ أحوال منزله

الثاني

يُراد للمناولة

ينبغي أن يكون حُرًّا بالطبع، ذا نفس ليِّنة ذليلة، وبدن متوسط

وهذا بمنزلة اليدين، لكونه يتوصَّل بهما إلى أخذ الموافق ومنْع المنافي

الثالث

يُراد للأعمال الجافية

ينبغي أن يكون حُرًّا ذا نفس قوية، وبدن قوي يواتيه على الأعمال الجافية

وهذا بمنزلة الرِّجلين لأن بهما وعليهما كل البدن وثقله

(*) من إضافات المحقق.

وأما سيرة المرء معهم(*) واتخاذه لهم فسنُصنف ذلك كما يلي(**)

ينبغي أن يحفظ عبيده كما يحفظ أعضاءه، ويفكر لهم في أمرين: أحدهما: الجنس الذي يجمعه وإيَّاهم الثاني: فيما ابتلوا به

ويجب أن يفكرِّر في حقهم(***) وأنه لو ابتلي بمثل ما ابتلوا به لأحب أن يُرزق من يلطُف به

وينبغي أن يتغافل عن أوَّل زلَّة، ثم يُعاتِبه على الثانية، ثم يُحذِّره، ثم يُنذِره ثم يعاقبه

وينبغي أن يكون للمماليك عند مواليهم مراتب من الإحسان، كلَّما أحسن أحدهم رفعَه

وأن يجعلهم أقساماً، ويُرتبهم مراتب، يعرف كل امريء منهم مقامه

وأن يكون غرضه من الرياسة عليهم، أن تكون خِدمتهم محبةً لا خِيفةً، وطاعتهم رغبةً لا رهبة

وينبغي أن يستقصي عليهم في الخدمة ويُنيلهم في تضاعيف الخدمة حظًّا من الراحة

ويجتهد في قضاء حوائجهم(****) المتقدمة بقسط من النفع الذي لا يضر بالموالي

وأن يلقى مجيئهم بالبِشر، ويُقابلهم بالاكرام، ويُدرَّ عليهم رزقهم على عادته، العبيد والعامة أيضاً

وينبغي أن يستخلص (العبيد)(*****) والعامة لسلطانهم أيضاً أولاً ويحثهم على طاعته، ثم بعد ذلك لنفسه

(*) الكلام عن العبيد. / (**) من إضافات المحقق. / (***) كذا في (خ) أما في (ط) يفكر في جنسهم. / (****) كذا في (خ). أما في (ط) [حقوقهم]. / (*****) سقطت من (ط).

التدبير وهو على ستة أنحاء

أولاً

طلب المرتبة التي تخص كل إنسان وهي على ضربين

- **المرتبة الخاصة** وهي على ثلاثة أنواع
  - **الرئاسة السلطانية** وهي صنفان
    - **رئاسة الملك**: سنذكر ذلك في الفصل الرابع من الكتاب إن شاء الله
    - **رئاسة الحشم** وهي على ضربين
      - **صاحب قلم**
        - تحصل بكمال الأدب من الخط والبلاغة
        - وحذق صناعته التي يقصدها
        - ومعرفة رياسته وإجرائها على الترتيب
      - **صاحب سيف**
        - تحصل باستعمال الفروسية والأسلحة
        - وبمباشرة الحروب والوقائع وإظهار الشجاعة
  - **رئاسة الرعاية** وهي صنفان
    - **رئاسة الدهاقنة** وهي على ضربين
      - تحصل بكثرة الإطعام وقضاء الحوائج وبذل المال
      - وبالاهتمام بأحوالهم وإظهار النصح والشفقة عليهم
    - **رئاسة العلماء** وتحصل بثلاثة أسباب
      - تحصل بعنايته أولاً بجمع العلوم وحفظها
      - وأن يبدأ بالأحمد عند الجمهور كالخط والفقه
      - وأن يتبع ذلك بإظهار الدين الورع والخير
  - **الواسطة بينهما**
    - **كرئاسة القضاء** وهي على ثلاثة أضرب
      - تحصل بمعرفة العلوم الشرعية وأحكامها
      - وبصرف العناية إلى أرباب الدّعاوى والبينات
      - وأن يحضر مجالس القضاة دائماً ليعرف أحوالهم
- **المرتبة العامة**

في الصفحة التالية

المرتبة العامة

وهي على نوعين

- **مرتبة التجار وأهل المراتب**
  - تحصل بجمع المال من أحسن وجوهه والاكتساب الدائم المعتدل
  - وبإظهار العدل في المعاملات والإنصاف من نفسه
  - وإظهار السيرة الحسنة ومعاونة الأصحاب
- **مرتبة السوقة والجمهور**
  - هي أدنى المراتب وهي مبذولة لكل دنيء النفس

ثانياً

اتخاذ الحرف ليُقيم منها معاشه وما يحتاج إليه(*)

- وينبغي أن لا يُدنس عرضه بصناعة دنيّة وإن كانت حَرفة آبائه
- وينبغي أن يعتني بما كان أعم نفعاً وأشرف عند الخاصة والعامة
- وليجتهد في الإحاطة بجزيئات صنعته وكلّياتها ليتقدم فيها ويبلغ غايتها

ثالثاً

القَنِيَّات ليستعين بذلك على سائر أمورِه(**)

- أشرفها النفس الكريمة والأخِلَّاء الأفاضل
- ثُم الضِياع والعقار وكلُّ ما ثمرته أشرف
- وليختَر منها ما قرُب من العُمران وبَعُدَ من جوار المتغلِّبين

(*) الركن الثاني من أركان التدبير.

(**) الركن الثالث من أركان التدبير وهو المقتنيات.

رابعاً

استعمال الآلات لدوام حاجته إليها واضطراره

- ينبغي أن يكون مسكنه بين أقوام صالحين وسطاً في العمران لا يضيق على رحله
- وينبغي أن لا يخلي وطنه مما تكثر حاجته إليه، ولا يستكثر
- وإن زاد مكسبه فليُكثِر من التجمل وزينة البيت

خامساً

الآداب المستعملة ليحسن حاله ويستقيم عيشه

- منها ما يستعمله الإنسان في خلوته وعند طعامه
- ومنها ما يستعمله في خطابه وعِشرة أصدقائه
- ومنها ما يسعمله مع العظماء، وقد بيَّنا ذلك

سادساً

الأعراض النفسانية ليُروض بها نفسه كما يُروض بالحركة بدنه

- ينبغي أن لا يجزع ولا يحزن على ما يفوته من الحِسيّات
- وينبغي أن لا يفرح بأمور سريعة الانتقال عنه
- ويعلم أن السرور الدائم موجود في الآخرة، فليطلُبُه

فهذه مراتب الناس وكل واحد يطلب منها على قدر همّته وآلته وتمكنه

- **فصاحب القوة النطقية**: أعني مَن كانت هي الغالبة عليه، يعني بطلب شرفها في العقد وأحمدها عاقبة
- **وصاحب القوة الغضبية**: بالحكاية، يعني بطلب أكثرها غلبة للناس وأعمها رياسة ولو قُبِّح وجهها
- **وصاحب القوة الشهوانية**: بالحكاية، يعني بطلب أكثرها نفعاً وأجلها راحة وأدلّها ولو كانت من أحسن الوجوه

القسم الثالث في سيرة الإنسان مع أهل نوعه

وهي ثلاثة أنواع

- سيرته مع مَن فوقه
- سيرته مع اكفائه
- سيرته مع مَن دونه

سيرته مع مَن فوقه

الآباء

- ينبغي أن يعتقد حُرْمَةَ مَن تولّى ولادته وتربيته
- وأن يكون من حرسه من الآفات حتى يبلغ ويلقاه بالخضوع
- ويجب أن يُعظمهما ويُبجِّلهما ويُعينهما على طلباتهما
- ويُساعدهما بماله ونفسه وبدنه وجاهه
- وينبغي أن لا يُداخلهما في أمر، ولا يُخاصمهما ولو آذياه
- وينبغي أن لا يقطع عليهما حديثاً، ولا يُداخلهما في كلام
- ويجب أن لا يُظهر منهما شكوى ولا يعصيهما أمراً
- وينبغي أن لا يجلس وهما قائمان بل بالضد
- وينبغي أن لا يستبيح خدمتهما له، ولا يتصدّر في مجالسهما

تابع: سيرة الإنسان مع مَن فوقه(*)

المعلمون

ينبغي أن يعلم أن الوالدين سبب نشوئه	وأنّ المعلمين سبب نشوء نفسه وجوهر النفس أشرف	وإن لم يزدهم على مرتبة والديه، فلا ينقصهم عنها
وإن لم يفعل ذلك وُصِف بأنَّه غير مستحق لما أوصوله إليه	ولا يجري المعلمين كلهم مجرى واحدا فإنهم مختلفون	ونعني بهم الذين غرضهم تربية النفوس وإصلاحها
وأن ينظر إليهم عند احتياج أحد منهم	وأن يقوم بقضاء حقوقهم ويُبالغ في خدمتهم	ولا يتكرَّه لما يلقى منهم من الغِلظة والتأديب

(*) من إضافات المحقق.

تابع سيرة الإنسان مع مَن فوقه

الرؤساء

ينبغي أن يكون بينه وبين الرئيس ملازمة دائمة لما هو بصدده	ينبغي أن يواظب على ما فوّض إليه من أمره ويشكره على ذلك سرًّا وجهراً	ينبغي أن يمدح فعله ويُحسن ما يأتيه، ويكتم أحواله ظاهراً وباطناً
وإذا عرض أمر مستقبح، توصّل في إسناده إليه دون الرئيس	ويجتهد أن ينتفع بالرئيس لا منه، ولا يُظهر الاستغناء عنه أصلاً	وإنْ لحقه ملال أو ضجر فليحذر الشكاية والتألم وإظهار العداوة
وليعلم أن الرئيس كالسيل المنحدر من الربوة متى واجهه أهلك نفسه	وينبغي أن يُريه وجه الصلاح بالإشارة، من غير أمر ولا نهي	ويجب عليه النصح والاجتهاد له، فإذا فعل ذلك استقام أمره دائماً

تابع: سيرة الإنسان مع مَن فوقه

الملوك

- ينبغي للداخل على الملك أن يُسلَم قائماً على بُعد(*) فإن استدناه قرُب منه فَقَبَّل الأرض، وتنحى عنه
- وينبغي أن لا يبدأه بكلام دون أن يسأله، ويجيبه حينئذ بِخفْض صوتٍ، فإن سكت الملك فلينهض
- وإن كان له طريقان عدل عند خروجه عن نظرِ الملك ثم يعود إذا طلبه بإذن، وأن لا يُطيل الجلوس
- وينبغي أن لا يبسط في مطعمه ومشربه في حضرته، وأن بسطه مذموم والقصد من ذلك إكرامه
- ويجب أن لا يرفع صوته، ولا يحرك شيئاً من أعضائه بحضرته، ولا يكثر الالتفات، ولا يقطع حديثه بحديث(**) وإن كان حسناً
- ويجب أن لا يضحك عند حديث الملك، ولا يكثر التعجّب منه، ولا يُعيد عليه حديثاً مرتين إلّا أن يسأله عنه
- وإن قطع الملك الحديث لشغل عرض له فليقطع، خوفاً أن يُحوجه إلى الإصغاء وهو يريد شغلاً آخر
- ويجب عليه أن يخدم الملك بالنصح والشكر والوفاء(***) وكتمان السر وترك الدلالة(****) وليجتهد في قضاء حقوق الخدمة بقدر طاقته
- فإنه إذا سلك هذا السبيل، كان جديراً بالسلامة، ونيل الحظوة، ودرك البغية، وإصابة الأمنية وجميل العاقبة

(*) في (ط) على نعله. (**) في (ط) باعتراضه.

(***)في (خ) الوقار. (****) في (خ) وترك الدلال.

وأما سيرته مع اكفائه

وهُم

- إخوة
- أصدقاء
- أعداء
- متوسطون

أمَّا الإخوة:

فليس جعل الاختيار في إتخاذهم إليه حتى يختار الأفضل فالأفضل، لكنه على حسب ما يتّفق له، لكون ذلك إلى غيره، ويجب أن يسير معهم:

بهذه السيرة

- يجب أن يُحافظ على مراتب الإخوة، ويُنزل كل واحدٍ منهم منزلته التي يستحقها
- ويجب أن يُخاطب كلا منهم على قدر عقله وعمله وفضله ومحله من السلطان
- ويجب أن يتخذ من كان منهم ذا حظ وسعادة كالوالد وينزله منزلة الرئيس
- وإن كان مساوياً له فينزله منزلة نفسه، ومَن كان صغيراً أو دونه في العقل والتدبير منزلة الولد(*)
- وأن يُحسِن إلى سائرهم إذا أمكنه، ولا يغفل عن خدمتهم وقضاء حقوقهم
- وقد ذكرنا ما يجب على الإنسان في باب الوالد والوَلد وسيرته معهم

(*) ينزله منزلة الولد.

وأمّا الأصدقاء(*):

فهم نوعان

- أصدقاء مخلصون وسيرته معهم:
- أصدقاء في الظاهر وسيرته معهم:

١	ينبغي أن لا يؤاخذهم بالتقصير ولا يجازيهم عليه، ولا يُعاتبهم عتاباً مفرطاً
٢	وليُدِم ملاظفتهم وليتعهد أسبابهم ويهدي ما يستحسنه إليهم
٣	ويجتهد في الاستكثار منهم، فإن الصديق زين المرء وعضده (وناصره)(**) ومذيع فضائله
٤	وأفضل ما استعمل المرء مع أصدقائه، مواساته لهم بما يُمكنه
٥	وليتفقد أقاربهم وعيالهم إذا ماتوا، فإنه من فعل ذلك رغب في صداقته (كل أحد)(***)
٦	وينبغي أن يبدأهم بالبر، ولا يحوجهم إلى مسألة وليسأل عمَّن غاب ممن حضر

(*) تابع سيرة الإنسان مع أكفائه.

(**) سقطت من (خ).

(***)سقطت من (خ).

تابع: الأصدقاء(*)

أصدقاء في الظاهر وسيرته معهم

١ - ينبغي أن يُجامهلم، ويُحسن إليهم ولا يُطلَعهم على شيء من أسراره وعيوبه

٢ - وأن لا يُلقي إليهم خواص أحاديثه وأحواله ولا يُحدِّثهم بنِعَمِه

٣ - ويجتهد في استمالتهم والصبر معهم ويُعاملهم بحسب الظاهر

٤ - وليعلم أن أدلّ الأشياء على صدق الإخاء، تعهد أحوال الأصدقاء

٥ - وينبغي أن يتعهد حال مَن غاب منهم ويسأل عنه (بحُضور الباقين)(**) ليستميلهم بذلك

٦ - وينبغي أن يتقبل منهم كل مستصلح إلى أكرم مرتبته، ليجتهد الباقون في محبته

(*) من إضافات المحقق، وذلك تابع لسيرة الإنسان مع أكفائه.

(**) في (خ) بحضور الناس.

ويجب أن يختار من الأصدقاء(*)

أربعة

١	٢	٣	٤
أهل علم وتديُّن وحكمة وعقل يفيدونه، ويقوّون قوة تمييزه وعلمه	أرباب محادثة طيبة في سائر خلواته، يفزع إليهم عند كربِه والضجر من أعماله	أهل شرف يستعين بجاههم في حوادث زمانه التي لا يخلو منها	أهل ثّروَةٍ يستعين بهم في الهم والغم والعوارض التي يقصد لمِّ شعثها(**) وخير حيفها



(*) تابع سيرة الإنسان مع أكفائه.

(**) الشعث: انتشار الأمر وخلله. يُقال في الدعاء: لمَ الله شعثه، أي جمع ما تفرَّق منه.
والحيف: الظلم والجور، - لسان العرب، ٣/ ٣٢٢ و١/ ٧٧٠.

وأما الأعداء(*)

فهم على ضربين

صنف: هم ذوو الأضغان والأحقاد

وسيرته معهم

- ينبغي أن يحترس (منهم)(**) كل الاحتراس، ويستطلع أخبارهم
- ومهما وقف على تدبير أو مكر لهم قابله بما ينقضه عليهم
- وليكثر النِكاية منهم إلى الولاة وغيرهم، لئلا تنجع فيه مكائدهم(***)
- وكل مَن يئس من صلاحه وتيقن سوء طبعه فلينتهز الفرصة في أذاه إذا أمكن لئلا يظهر ذلك فيفسد حاله

وصنف: هم الحُسَّاد

وسيرته معهم

- ينبغي أن يُظهر أبداً ما يُغيظهم وما يُؤذيهم
- وليحذر من دسيستهم ويحتال لظهور حسدهم
- وليعَرِّفهم ما هو فيه من النِعم ليموتوا بغيظهم
- ويجب أن يزداد فضلاً إلى فضله فقد قيل:
- [مَنِ ازداد فضلاً فقد زاد حاسده غمًّا]

(*) تابع سيرة الإنسان مع أكفائه.

(**) سقطت من (ط).

(***)في (خ) النكاية فيهم. نكى في العدو إذا قهره بالقتل والجرح.

وأمّا المتوسطون(*):

فهم على أربعة أنواع

صلحاء

وهم ناس متبرعون بإصلاح الناس

- يجب مدحهم أبداً على فعلهم ويجتهد في التشبه بهم في سائر أحواله
- وسيرتُهُم مرضية عند أكثر الناس ومَن سار بها عُرف بالخير وحُسن النية

نُصحاء

وهم المتعاطون النصيحة

- يجب أن يستمع إلى أقوالهم ولا يعجل إلى قبوله إلّا بعد التأمُّل
- وليعرف أغراضهم ومقاصدهم ثم يقف على حقيقة مرادهم
- وليظهر لهم الطاعة والقبول لما يلقون إليه ليستديم صحبتهم

سُفهاء

وهم أراذل الناس

- يجب أن يستعمل معهم الحلم ولا يواتيهم بما هو فيهم من السَّفه(**)
- أن يتلقَّاهم أبداً بسكون ليعرفوا قلّة مبالاته بحالهم فلا يؤذوه
- فإن تلقوه بالشتم والسفه تلقاهم بالمحقرة وقلّة الاكتراث

منافسون

وهم ذوو طباع ليست بجيدة

- يجب على المرء أن يُقابلهم بمثل فعلهم لأنه إن تواضع لهم استضعفوه
- فإن تكبَّر عليهم(***) علموا أن الذَّنب في ذلك لهم فيلقوه بالتواضع

(*) أي الفئات المتوسطة. / (**) في (خ) ولا يواتيهم بما هم فيه من السَّفه.

(***)سقطت كلمة عليهم من (ط).

وأمّا سيرة الإنسان مع مَن دونه

وهم صنفان

متعلمون

الضرب الأول — ذوو الطباع الجيدة

فينبغي أن لا يدخر عنهم شيئاً من العلوم بل يوصل ذلك إليهم أولاً فأولاً، وليعرف أقدارهم وأذهانهم ليوصل إلى كل واحد منهم بقدر استحقاقه

الضرب الثاني — هُمُ البلداء

هُم الذين فيهم أدنى ذكاء(**) ولا تُرجى براعتهم، فليحملهم على ما هو أعود عليهم ليكسبوا به ما ينفعهم

الضرب الثالث — ذوو الطباع الرديَّة

هم الذين قصدهم بالعلم استعماله في الشر وفيما لا يجب، فينبغي أن يحملهم على تهذيب الأخلاق وإزالة ذلك من نفوسهم، وأن لا يعلمهم شيئاً من العلوم النافعة إلّا بعد معرفة صلاحهم

محتاجون(*)

الضرب الأول — المُلحُّون

ينبغي أن لا يعطيهم ولا يبذل لهم على الحاجة شيئاً وليزجرهم عنه، فإن علم صدق حاجتهم أسعفهم

الضرب الثاني — الكاذبون فيما يدَّعونه

ينبغي أن يميّز بينهم فمَن كان كذبه لضرب من التدبير فليواسِهِ ولتكن مواساته لهم وسطاً من غير منع ظاهر ولا بذل تام

الضرب الثالث — الصادقون فيما يظهرونه

يجب أن يواسيهم بما يقدر عليه ويتهيأ له، ولا يُجْبِهُهم(***)، وليجعل إحسانه إليهم بما لا يخِلُّ بأحوال نفسه ولا يضيق عليه

(*) أي الفقراء. / (**) في (ط) دنيء ذكاء.

(***)أي لا يذلّهم ولا يردّهم خائبين، يُقال جبّه الرّجل يجبهُهُ جبهاً، إذا ردَّه عن حاجته واستقبله بما يكره [لسان العرب: ابن منظور ج١ ص٣٩٩].

ويجب على العامل بهذه السيرة العقلية

مراعاة هذه الأحوال

الأول	أن يعلم أنه حق على المرء أن ينظر إلى محاسن الناس ومساوئهم، ليجتذب المنافع إليه
الثاني	ثم يوظِّف الأمور وظائفها، ويجعل من طبقاتها حدوداً يظهر له الفرق بينهما
الثالث	ثم يأخذ نفسه بتأديبها في إحياء عِلم ما عَلِم بالعمل، واستجلاب عِلم ما جهِل بالتعلم
الرابع	ثم لا يكون تأديبه لنفسه في وقت واحد فإنه واجد في كل حين موضع تأديب
الخامس	وليعلم أن منهاج التأديب إيقاظه نفسه ثم لا يمنعه عِصيانها من إدامة إيقاظها
السادس	فإذا همّت النفس ببعض الإجابة، كان أول ما يؤخذ به إعطاء الدِّين حقه وإشعارها حظها
السابع	ثم إحياء الحزم عند المكاره، والصبر عند المصائب والكظم عند الغضب، والوقار عند المستحيلات
الثامن	ثم صُحبة الملوك بكتمان السر، وبإرشاد الأعمال وتقريط الأفعال، وتسديد الأقوال والملازمة
التاسع	ثم تعهد الإخوان بإحياء الملاطفة والاستكثار من فوائد الإخوان ثم حفظ إخوان الإخوان
العاشر	ثم تعهُّد أهل المُكاسرة المتشبهين بالإخوان بالصبر عليهم إما طمعاً في تحويل ذلك صدقاً أو اتقاء عاديتهم(*)

(*) في (ط) أو إبقاء عادتهم. وأهل المكاسرة هم الجيران.

تابع: ما يجب على العامل بهذه السيرة العقلية

مراعاته(*)

الحادي عشر	ثم يواسيهم ويمتحنهم بالحفظ على العقب وعند الزمانة(**) بجبر الكسر والضعف وعند الحاجة بقضاتها
الثاني عشر	ثم تعَهُّد الصلحاء بالمصافاة، والنصحاء بالخَلوة، والالفاء بالإكرام، والخاصة يخصُّهم بمنزلةنفسه
الثالث عشر	ثم إسعاد ضعفاء ذوي الرحم بالرحمة وأقويائِهم بالتعليم، وأكابرهم بالإحسان، وأرداهم بالمداراة
الرابع عشر	ثم مقابلة الأعداء بالأذى مع التمكن وذوي التنصل بالمغفرة، وذوي الاعتراف بالرأفة
الخامس عشر	ثم ملاقاة ذوي الاغتيال بالمناقضة والحُسَّاد بالمُغايظة، وأهل المواثبة بالوقار
السادس عشر	ثم لقاء أهل المشاتمة بالمحقرة، وأهل المُنافسة بالمكابرة، وذوي المُلادغة بالإحتراس
السابع عشر	ثم يأمر في الشُّبهات بالكَفِّ، والمجهولات بالإرجاء والواضحات بالعزيمة، والمستريبات بالبحث
الثامن عشر	ثم تعهد الجيران بالرفق، والصاحب بالمطاوعة، والزائر بالتحية، والصديق بالهدية والإكرام
التاسع عشر	ثم يُفرِّق بين خِيار الإخوان وشرارهم ونافع الرؤساء وضارّهم ليميل إلى ما كان أعود عليه
العشرون	ثم يتعهد المعيشة والحِرفة التي يحترف بها ليتوفر كسبه، وينمو ماله، ويَحْسُن حاله وينتظم

(*) من إضافات المحقق. / (**) أي يمتحن جيرانه بمدى حفظهم له في غيابه وعند إصابته بعاهة.

الفصل الرابع

في أقسام السياسات وأحكامها(*)

★ ★

اللَّهمّ إنّا نحرِص على بلوغ الغاية مع طول المشقة، ونشح على زمان العمر لقصر المدة، ونوقظ أنفسنا على الدَّوام من سِنَةِ الغَفْلِةِ، ونَخرجها أبداً إلى حُسنِ الفِعْل من قُبح العُطلة، ونتقرَّب إليك بالتّباعُدِ من الهوى، ونستريحُ إلى تعبِ البصيرة من العمى، اللَّهُمَّ فاعصِمْنا من مكايِد الشيطان، ولا تكِلْنا إلى النَّفسِ الأمَّارة بالسّوء، وبلِّغنا الدِّرجة العُليا برحمتِكَ، والسَّعادة القُصوى بجودِكَ ورأفتِك، إنَّك على ما تشاءَ قدير.

وقد قدَّمنا في الفصل الثاني من كتابنا هذا، ذكر الأخلاق، وعللها وأسبابها، واختلاف جواهر الناس فيها، ودلّلنا على الجميل منها ليُتَّبع، ونبّهنا على القبيح منها ليُجتّنّب، وأوضحنا أقسام الفضائل، وحثثنا عليها، وبيَّنَّا أجزاء الرَّذائل وحذَّرْنا منها، فمن وفَّقّهُ الله تعالى للعمل بما تضمَّنه، فقد ظفر بجميل الذِّكر في الدّنيا، وفاز بجزيل الأجر في الآخرة.

ثم ذكرنا في الفصل الثالث، أقسام السيرة العقلية وفضائلها، وفصَّلنا فيها ما أجمل المتقدمون، من أنواع العلوم الواجب على الإنسان معرفتها والعمل بها، وهي السيرة التي من سلك سبيلها، وساس بها نفسه وبدنه

(*) سقطت كلمة (أحكامها) من (خ).

ومنزله ومعاشه، نجا من الشُّرور الدُّنيويَّة، وتهيَّأ لاكتساب الفضائل الأُخروية.

وإذ قد أتينا على ما أردنا بيانه وتفصيله مما قدمنا ذكره، فلنورد الآن في هذا الفصل - وهو الرابع - ذِكر السبب الموجب لإتَّخاذ المدن، والداعي إلى إقامة السياسة في العالم، **فنقول**:

إن الذي حدانا على وضع هذا الفصل، وإيداعه الكتاب بعد كماله معانٍ منها:

إن الله جلَّ جلاله، لمَّا خصَّ الملوك بكرامته، ومكَّن لهم في بلاده، وخوَّلهم عباده[١]، أوجب على علمائهم تبجيلهم وتعظيمهم وتوقيرهم، كما أوجب عليهم طاعتهم، فقال تعالى ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ﴾[٢]، وقال تعالى ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾[٣].

ومنها، أن العامة وبعض الخاصة، تجهل الأقسام التي تجِبُ[٤] لملوكِها عليها، وإنْ كانت مُتمكِّنةً بجُملَة الطَّاعة. ومنها السعادة العامَّة في تبجيل الملوك وتعظيمها وطاعتها.

فاختصرنا من الأدبِ ما نجعله قُدْوَةَ لهم، وإماماً لتأديبهم، ولنا في ذلك أجران: أما **أحدهما** فلِما نَبَّهنا عليه العامة[٥] مِن معرفة الخاصة، وكذا **الآخرُ** فلما يجب علينا مِن تقويم كل مائل ورَدِّ كُلِّ نافِرٍ إليها، ولمَّا كان الإنسان مُفتقِراً إلى هذه الأُمور، غير مُستغْنٍ عنها:

---

(١) في (خ) وخوّلهم في عباده.

(٢) سورة الأنعام: [الآية رقم: ١٦٥].

(٣) سورة النساء: [الآية رقم: ٥٩].

(٤) سقطت كلمة [تجب] من (خ).

(٥) سقطت كلمة [العامة] من (خ).

وهي (*)

الغذاء	اللباس	المسكن	الجِماع	العِلاج
ليجعله خلفاً لما يتحلّل من بدنه بالحركة والرياضة.	ليدفع عن نفسه ألم الحر والبرد والرياح.	ليصون نفسه ويحرسها من تطرّق الآفات.	ليبقى به النوع، إذ لا سبيل إلى بقاء الشخص (**).	لتَغيُّر الكَيْفِيَّاتِ التي فيه، ولِما يناله من تفرُّق الإتصال.

احتاج حينئذٍ إلى الصَّنائع والعلوم التي تعمل بها هذه الأشياء.

ولمّا كان الإنسان الواحد لا يُمكنه أن يعمل الصنائع كلها، افتقر بعض الناس إلى بعض، ولحاجة بعضهم إلى بعض، اجتمع الكثير منهم في موضع واحد، وعاون بعضهم بعضاً في المعاملات والأخذ والإعطاء، فاتَّخذوا المدُن، لينال بعضُهم من بعض المنافعَ من قرب، لأن الله عزَّ وجل خلق الإنسان بالطبع يميل إلى الإجتماع والأُنس، إذ لا يكتفي الواحد من الناس بنفسه في الأشياء كلها.

ولمَّا اجتمع الناس في المدُن وتعاملوا، وكانت مذاهبهم في التناصُفِ والتَّظالُمِ مختلفةً، وضع الله لهم سُنُناً وفرائض، يرجِعون إليها ويقفون عندها، ونصَب لهم حُكَّاماً يحفظون السُّنَن، ويأخذونهم باستعمالها، لتنتظم أُمورهم ويجتمع شملهم، ويزول عنهم التظالم والتعدّي، الذي يُبدِّد شَملهم ويُفسد أحوالهم.

ولمَّا كان الشَرُّ يدخل على الإنسان من وجوهٍ - يأتي ذكرها -، جعل له ما يتحفَّظ به من وُقوع الشر، وما يدفعه ويُداويه إذا وقع.

(*) هذه الغرائز التي يفتقر إليها كل إنسان.

(**) من المفروض تكملة العبارة بلفظ (إلّا به) أو (دون ذلك).

وهي(*):

إمّا من نفسه	وإمّا من أهل مدينته	وإمّا من أهل مدينة أُخرى
ويدفع ذلك	ويدفع ذلك	ويدفع ذلك
بسُلوك الطريق المحمودة، وضبط النفس، واستعمال العقل في كل الأُمور.	باستعمال الشرائع والسنن الموضوعة لهم، وإصلاح الكافة.	بالأسوار والخنادق والحرَّاس، ثم إذا وقع المحاربةُ والقِتال.

فقد تبيّن بما ذكرنا، أنّا مضطرون إلى تدبير وسياسة، وأمرٍ ونهي، وأنّ المُتولّين لذلك، ينبغي أن يكونوا أفاضلهم، فإنَّ من نهى عن شيء أو أمر بشيء، فالواجب أن يُظهِر ذلك في نفسه أولاً ثم في غيره(١).

ولأنَّ كثرة الرؤساء تُفسِد السياسة وتوقِع التشتُّت(٢)، احتاجت المدينة أو المُدن الكثيرة، أن يكونَ رئيسها واحَداً، وأن يكون سائر من يُنَصَّب لتمامِ التدبير والسياسة، أعواناً سامعين مطيعين منفِّذين لما يصدر

(*) هذه مصادر الشر والخطر في المجتمع المدني وكيف يتم دفعها بنظر المؤلف.

(١) لإن نظرة المؤلف في نشأة الدولة شبيهة بنظرة أفلاطون الذي يرى أن الدولة تنشأ نتيجة لتباين حاجات الناس ورغباتهم وعجز الفرد عن سد حاجاته بنفسه مما يستوجب تعاون الأفراد لإشباع حاجات الناس الاقتصادية وتنظيم تبادل الخدمات بينهم، ومهمة الدولة تحقيق التوافق بين الأفراد. (انظر مبادئ علم السياسة - نظام بركات وآخرون، ص٥٦).

(٢) في (ط) التَشَبُّث.

عن أمره، حتى يكونوا كالأعضاء له، يستعملهم كيف شاء، ويكون كالحاضر لجميع عمله بحضوهم، وإنفاذهم أمره ونهيه[1].

وإنما اضطر العالَم إلى سائس ومُدبِّر، ليدفَع عنهم الأذى الواقع على بعضهم من بعض - كما قدَّمنا - حتى يقصد كل واحد منهم للصناعة التي ينتحلها، لمصلحة نفسه ومصلحة غيره ممن يحتاج إليها، ولا يعوقه عنها عائق، فيتمّ بذلك تعاضدهم وتعاونهم على مصالح عيشهم واستقامة أمورهم.

ولنبتدئ الآن بذكر **أركان المملكة**، ثم نُتبِع ذلك بما يجب على الملِك الفاضِل، وما يضطرُّ إلى استعماله واتخاذه من الأتباع والأعوان، لقيام المملكة وحراستها ودوامها، ونذكر صفاته وصفات كل من أعوانه على التفصيل، وما يجب على كلّ منهم وله، والله الموفق للصواب.

---

(١) في (خ) ويكون كالحاضِرِ في إنفاذِهم أمره ونهيه.

أركان المملكة أربعة

الملِك	الرعية	العدل	التدبير

الركن الأول: **الملِك**

مضطر إلى ست آلات

الأولى **الأُبوَّة**	وهو أن يكون من أهل بيت الملك قريب النسب ممن مَلَك قبله	وذلك سبب الاتفاق عليه
الثانية **الهمَّة الكبيرة**	وحصول ذلك بتهذيب الأخلاق النفسانية وتعديل القوة الغضبية	وذلك لا يكادُ يُنال المُلك إلّا به
الثالثة **الرأي المتين**	وحصول ذلك بالبحث والنظر في تدابير السلف وأخبارهم وتجاربهم	وذلك أن ما من أمر إلّا وهو معرَّض لمكيدة
الرابعة **المصابرة على الشدائد**	وحصول ذلك وتمكُّنه منه بإظهار الشجاعة والقوة واستعمالهما	وبذلك يستقيم له أمرُ الملك وقهر الأعداء
الخامسة **المال الجَمُّ**	وحصول ذلك له باستعمال العدل في الرعية ودوام العمارة	وبه قوام المملكة ودوامها
السادسة **الأعوان الصادقون**	وحصول ذلك بالتلطف بهم ودوام الالتفات والإكرام	وبهم يشتد عضد الملك ويقوى قلبه

ويَخصُّه من السياسات

- سياسة نفسه
- سياسة بدنه
- سياسة خاصته
- سياسة جمهور الرعية
- سياسة الحروب

سياسة نفسه

الأول	ينبغي أن يقسم نهاره أقساماً **فأوله**: لذكر الله تعالى وشكره، و**صدره**: للنظر في أمر الرعية، و**وسطه**: لأكله ومنامه، و**طرفه**: للذّاتِه ولهواته(*)
الثاني	سأل الإسكندر حكيماً: مَن يَصْلح للمُلْك؟ فقال له: إما ملِك حكيم(**) أو ملِك يلتمس الحكمة
الثالث	وقال حكيم: قلوب الرعية خزائن ملوكها فما أودعت من خيرٍ أو شرٍّ فهو فيها
الرابع	ينبغي أن لا يفرج إذا مُدِح بما ليس فيه ولا يحزن إذا عُيِّبَ بما ليس فيه
الخامس	ولا يَجْزَ عَن مما لا بُدَّ منه ولا يأتي الامر في غير حينِه
السادس	ويجب أن يُحافظ على الشُكر ويحرص على الإحسان
السابع	وينبغي أن يكون جيّد الحدس والتخمين ولا يغيب عنه حال من أحوالِه
الثامن	وليجعل الحق والعدل إمامه ويمتثل ما يأمُرانِه به
التاسع	وليقابل الخطأ من الناس بالصواب الذي في جوهره

(*) في (خ) للذته ولهوه. / (**) سقطت كلمة [حكيم] من (خ).

سياسة بدنه(*)

الأول	ينبغي أن يقهر شهوته فإن من كان عبدها لا يستحق المُلك
الثاني	وينبغي أن لا يُطلق لنفسه من اللذات إلّا ما كان جميلاً(**)
الثالث	ويجب أن يكون مُعَرَّى من الشرّين شراسة الأخلاق ولينها(***)
الرابع	وينبغي أن لا يكون كسلاً ولا بطيء الحركة ولا متغافلاً
الخامس	وينبغي أن لا يعرف أحدٌ مبيته ومنامه
السادس	وينبغي أن يكون شديد القوة عالماً بالفروسية
السابع	ويحسن أن يكون حسن الصورة مقبول الشكل
الثامن	وينبغي أن يكون كامل الأعضاء تامّها متمكّناً من الحركة
التاسع	ويجب أن يكون تَرْك المُلك(****) لمَن يأتي بعده، أعمر مما تسلّمه
العاشر	وأن لا يركبن قبيحاً ولا مأثماً، ولا يتكلف ما لا يضُره تركُه
الحادي عشر	وأن يتصفَّح في ليله أعمال نهاره، فإنَّ الليل أجمع للخاطر
الثاني عشر	وأن يُقدّم مصالح ما يقلده على مصالح نفسه، لعودِ صلاحه إليه(*****)

(*) تابع ما يخص الملك من السياسات.

(**) في (خ) إلّا ما كان حميداً.

(***) في (خ) شراسة الخُلقِ ولينِه.

(****) في (خ) وينبغي أن يترك المُلك.

(*****) في (خ) وأن يُقَدّم مصالح ما يُقَدِّمُهُ على مصالح نفسه ليعود صلاحُهُ إليه.

سياسة خاصته(*)

الأول	**سائسوا المملكة**: كالوزير والكاتب والعامر
الثاني	**سائسوا بدن الملك**: كالطبيب والمُنجِّم(**) وصاحب الطعام
الثالث	ينبغي أن يدل العيون عليهم سِرًّا وجهراً، ليعرف أخبارهم وأسرارهم
الرابع	ويجب أن يرفق بهم ويحميهم كما يحمي نفسه، ولا يؤاخذهم بتقصير ما لم يَضُر
الخامس	ومن تأكدت حرسته منهم رفع منزلته ورعى حقّه حاضراً وغائباً
السادس	ولا يقبل فيهم قول ساع إلّا بعد التحقيق واليقين له
السابع	وليُراعِ مراتبهم، ولا يقدّم أحداً منهم إلّا بقَدر حاله، لئلّا يسخط الباقون
الثامن	ويجب أن يُحسن إلى الطبيب إحساناً كثيراً، فإنّه أمينُه على نفسه
التاسع	وينبغي أن يتخذ جُلساء من أعقل الناس وأعلمهم ويقوم بمصالحهم لينتفع في خلوته
العاشر	**نُدماء**: وهُم أصحاب خلوته

(*) تابع ما يخص الملك من السياسات.

(**) المنجّم: في اللغة الذي ينظر في النجوم يحسب مواقيتها وسيرها ليعلم بها أحوال العالم، كالذي يقول إذا كان هذا النجم في المكان الفلاني فسوف تأتي أمطار غزيرة، وقد جاء في فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والافتاء ١/ ٤٢٢ فتوى تحرّم ذلك، لأن القائل بذلك القول إما أن يعتقد أن للنجم تأثيراً في إنزال المطر - وهذا كفر وشرك - وإما أن يعتقد أن المؤثّر هو الله وحده ولكنه أجرى العادة بوجودها عند سقوط ذلك النجم - وذلك محرم أيضاً -. أما علم النجوم الذي يدرك عن طريق المشاهدة والحس كالذي يعرف به الزوال وجهة القبلة واستخراج التواريخ وعمل التقاويم ونحو ذلك، فإنه غير داخل فيما نهي عنه.

سياسة جمهور الرعية(*)

الأول	يجتهد في استمالة قلوبهم وجعل طاعتهم رغبة لا رهبة
الثاني	وليبتدئ بالنفقة عليهم، ثم بإطماعهم في الرفعة لديه وقرب المنزلة
الثالث	وينبغي أن لا يغفل عن البحث عنهم بلطيف الأخبار حتى يقف على أسرارهم
الرابع	وليجعل محبتهم له اعتقاداً دينيًّا، لا طمعاً في أعراض الدنيا(**)
الخامس	وينبغي أن يعرف أكثر أخلاق رعيته، ليؤهّل كلًّا لما يصلح(***) له من الولايات
السادس	ويجب أن يعرف أخبار مجاوريه من الملوك، وأن يشحن ثغوره بالرجال
السابع	ويجب أن يتعهد جُنده بجوائزهم ولا يحوجهم إلى رفع قضية أو شكوى
الثامن	وينبغي أن يسمع قول القائل والمقول فيه(****) ثم يُعاقب الباغي
التاسع	وينبغي أن يخلع على مَن أدخل عليه سروراً لينتشر الذكر الجميل(*****)
العاشر	ويجب أن يتفقد عمارات بلده وأسعار أهله وأحوال أقواتهم(******)

(*) تابع ما يخص الملك من السياسات.

(**) في (خ) أغراض الدّنيا.

(***)سقطت كلمة يصلح من (خ).

(****) في (خ) ويمتحن القائل والمقول فيه.

(*****) في (خ) لينتشر عنه الذكر الجميل.

(******) في (خ) وأحوال أقواتِهِ.

تابع: سياسة جمهور الرعية(*)

الحادي عشر	ويجب أن لا يخلي الرعية من وعد ووعيد، وإيقاع وإنجاز، ورجاء وخوف
الثاني عشر	ويجب أن يكون آثر الأشياء عنده بسط الخير للناس، وأن يعمّهم بفضله(**)
الثالث عشر	وينبغي أن لا يجمع المُحسن والمُسيء بمنزلة واحدة، فيزهد أهل الإحسان
الرابع عشر	وليحسم أسباب التنازع ولا يسهل لهم التحرز، لأنه يشتت الكلمة(***)
الخامس عشر	وَلْيَنْهَ عن اعتقاد رياسة غير رياسته، ليرجع الأمر بأسره إليه
السادس عشر	وينبغي أن تعُم سياسته سائر أهل مملكته وليعاقب على الصغير من الذنب، ويعفو عن الكثير

(*) من إضافات المحقق.

(**) في (خ) وأن يُعامِلَهُم بفضله.

(***) في (ط) لأن تثبت الكلمة.

سياسة الحروب(*)

الأول	ينبغي أن يعلم حال العدو في كل ساعة بالجواسيس، ولا يغفل أمره
الثاني	ينبغي أن يُخفي أخباره عن عدوه بكل ممكن، ويسترها عمّن يخاف سريرته
الثالث	وينبغي أن يبذل المال العظيم في مخادعته، ومخادعة أصحابه، واستمالتهم
الرابع	وينبغي أن لا يثق(**) بمستأمن من جهة العدو إلّا بعد خبرة حاله وصفاء نيته
الخامس	وإذا قوي عدوه واستظهر، فالصواب أن يستكثر، ويلقاه بنفسه بعد إحكام أمره
السادس	وإن كان دونه فلْيُخْرِج إليه من يثق ببأسه وشجاعته ونجدته ونجابته
السابع	وينبغي أن يجعل في مقدم عسكره من الأمور المزعجة ما يُذهب أصحاب العدو
الثامن	وليحتل في إيقاع العذاب بهم، إما بقطع الماء عنهم أوالقناطر أو بالنار
التاسع	ويجب أن يجعل على كل عدة معلومة من عسكره، رئيساً من شجعانهم ومجربيهم

(*) تابع ما يخص الملك من السياسات.

(**) سقطت كلمة [لا] من (خ) وبدونها لا يستقيم المعنى.

تابع: سياسة الحروب(*)

العاشر	وينبغي أن يتخذ كميناً، ولا يهمل خبره، ويحذر مع ذلك كمين الأعداء
الحادي عشر	ويجب أن لا يستصغر عدوه ويقابله بما يقابل الأمر(**) العظيم، إذ لا معول على ريب الزمان
الثاني عشر	وليجعل المحاربة آخر حيلة، فإن النفقة فيها من النفوس وفي غيرها من المال
الثالث عشر	فإن أفادت الحيلة ربح ماله وحقن دماء جيشه، وإن أعيت حارب بعد ذلك
الرابع عشر	وإذا تمكن من العدو فلينادِ في الناس بنشر العدل والأمان من القتل
الخامس عشر	وليقسم الغنائم على أصحابه ويرضيهم بقدر الإمكان ويقدم من يجب تقديمه
السادس عشر	وليتَّبع بعد ذلك الأراجيف(***) حتى تنتهي إلى مُنتهاها فيعاقب مخترعها

(*) من إضافات المحقق.

(**) سقطت كلمة الأمر من (خ).

(***) الأراجيف: الأخبار المختلقة الكاذبة والسيئة.

ويجب على الملك أن يحترز من هذه الخصال ويتوقاها

- الحرص
- العُجب
- الذم
- اتباع الهوى
- التواني

وأسبابه ثلاثة

- إما كريم فقصّر به عن قَدْره فاحتمل لذلك صعباً
- أو لئيم بُلَغ ما لا يستحق، فأورثه ذلك بطراً
- أو رجل منعه حقّه من الإنصاف

ويجب عليه

أن لا يغضب	لأن القدرة من وراء حاجته
ولا يحلف	لأنه لا يقدر أحدٌ على استكراهِه
ولا يبخل	لأنه لا يخافُ الفقر
ولا يحقد	لأن حضرته تَجِلّ عن المُجازاة
ولا يلعب	لأن اللعب من الفراغ ولا فراغ له
ولا يَخاف	لأن الخوف من عمل الجُهّال
ولا يحسد	إلّا على حُسن التدبير
ولا يثق بالدنيا	فإنه لا عهْد لها

ولا يكاد يستغني عن هذه(*)

آخرة تحرسه	ودُنيا تلذه	وخاصة تعينه	وعامة ترفده
بخشية الله تعالى والامتثال لأمره	بأن يقتصد في استعمال اللذات	بأن يودِع قلوبهم محبته	بأن يودِع قلوبهم هيبته

وقوامها بهذه

العدْل	العفّة	العفو	العقوبة
به تكثُر العمارة ويدوم المُلك	هي سبب ظُهور الهيبة	به يظهر شرف القدرة	بها تُحرس الرياسة

(*) هذه العناصر التي لا يكاد يستغني عنها الملِك، وبمَ تقوم وتتحقق هذه العناصر.

وليحذر الملك أن يستبطن أو يستكفي أحداً من(*): هؤلاء الإثني عشر

الأول	الثاني	الثالث	الرابع
شرّير مُتظاهر بالخير	مُطرح الدِّين والمراقبة	حريصٌ شرِه	مضرور ذو فاقة(**)
لأنه ذو نفاق ومكر	لأنه قليل الوفاء سريع الغدر	لكونه يثني باليسير ويطمع بالحقير	لأنه لا يصفو لمن لا يجبر فاقته

الخامس	السادس	السابع	الثامن
محطوط عن رتبة بلغها	مهاجرٌ بذنب لم يُعف عنه	مُذنبٌ مع جماعة عُفي عنهم وعوقب	محسن مع جماعة جوزوا ومُنِعَ
لأنه ساخط متنكِّر	لأنه خائف وجِلٌ حَذِر	لأنه مغبون مُغتاظ	لأنه محروم

التاسع	العاشر	الحادي عشر	الثاني عشر
ذو كفاء من حسَدَةٍ وأعداء	مستنصر بما ينفع الملك ومنتفع بما يضرّه	من كان لَعدو الملك أرجى منه له	من بغى عليه أعداؤه فسوعدوا عليه
لأنه حنِق(***)	لأنه مُخالف مُباين	لأنه يكون بغدره مماثلاً	لأن عداوته تنتقل إلى مَن ساعدهم عليه

(*) هذه العناصر التي يجب أن يتعامل معها الملك بحذر، ومعنى يستبطن: أي يجعلهم من بطانته وأهل خاصته، ومعنى يستكفي بهم: أي يستغني ويكتفي بهم عن غيرهم.

(**) الفاقة: الفقر.

(***) الحَنَق والحِنَق: شدّة الإغتياظ.

ولا يخلو تدبير الملك من أمور أربعة(*)

- أمّا من طريق العقل
- أو من طريق الجود
- وأمّا من طريق السياسات
- أو من طريق الحزم

من طريق العقل

الأول	الثاني	الثالث
لطاعة الله وتصديق رُسله	ومجاهدة النفس على مكارم الأخلاق	وأن يجعل بينه وبين هؤلاء حاجزاً منيعاً

من طريق الجود

الأول	الثاني	الثالث
كالتعطّف على أهل المسكنة	وإكرام ذوي البلاء	واستغناء(**) طالب الحاجة بحاجته

من طريق السياسة

الأول	الثاني	الثالث	الرابع
كالعطاء الكثير على السبب اليسير	والعفو عن كثير الجرائم	والعقوبة على يسير الذنب (***)	واستعمال المكايد على الأعداء

من طريق الحزم

الأول	الثاني	الثالث
كترك حُسن الظن بكل أحد	وكتمان السِّر وصوْنُه	ومُعالجة ما يُخشى فَوْتُه

(*) هذه بعض أساليب التدبير في العمل القيادي. وتُضيف (خ) في نهاية السطر كلمة [وهي].

(**) في (خ) [واستعمال] بدل [واستغناء].

(***)في (ط) والعفو عن يسير الذنوب.

ومما يتصل بالتدبير

وينبغي أن يُحذر ويُجتَنب ستة أشياء

الأول	الثاني	الثالث	الرابع	الخامس	السادس
مَن استوزر غير كاف	ومَن استشار غير أمين	ومن أسرّ إلى غير ثقة	ومَن استعان بغير مستقل	ومّن ضيّع عاقلاً	ومَن اصطنع جاهلاً
خاطر بملكه	أعان على هلكه	ضيّع سرَّه	أفسد أمره	دلّ على ضعف عقله	أعرب عن فرط جهله



الركن الثاني (*): **الرعيَّة**

فينقسمون أقساماً كثيرة(**)

فمنهم:

متأهلون	هم الذين اقتصروا على العبادة والزُّهد بِوعظ العالم بترهيبهم وترغيبهم
حُكماء	هم العارفون بالعلوم الحِكْمِيّة: كالطب، والنُجوم، والحساب، والهندسة، وأشباه ذلك
عُلماء	هم حملة الآثار وخُلفاء الأنبياء إليهم يُرجع في التحريم والتحليل والتفسير والتأويل
ذووا أنساب	هم أهل الشرف والجاه والقدر، كلّما كثُروا في المملكة كانوا أنبل(***)، وهُم عُدَّةُ المَلِك
أرباب الحروب	هم حرسَةُ المملكة، بهم تُدفَع الأعداء وتُؤمَنُ غوائِلُهُم، وبِهم تُفتَح المُدُن والممالك
عمّار السوق	هم صُنَّاع وأتباع، بهم تتم أمور الناس وينالون حوائجهم من قُرب(****)
سُكَّان القُرى	هم مُثمِرو الحرْث والنسِل والزرع والغرس وباقي الناس محتاج إليهم

(*) من إضافات المحقق.

(**) هذه أقسام الرعيّة من حيث وظائفها.

(***) في (خ) كانت أنبل والمقصود المملكة.

(****) في (خ) من قريب.

وهؤلاء ينقسمون إلى ثلاثة أقسام(*)

أخيار افاضل	أشرار أراذل	متوسطون
هم مُحِبّو الخير مُبْغِضو الشر، يأتمرون وينتهون طوعاَ، يؤثِرونَ ما عاد بصلاح المَلِك والرعية ويختارونه	هم أضداد الأخيار، لأنه ليس للتأديب فيهم نفعٌ، فهم كالسِّباع المؤذية طبعاً	وهم أرباب المكاسب يتكافى قولهم من محمود ومذموم، يميلون إلى الصلاح مرةً وإلى الفساد أُخرى
وحقّهم الإكرام والبِرُّ والتقديمُ ورفع المنزلة باختيارهم للمُهمَّات	وحقّهم إذا يئِس من صلاحهم ولم تنجع العقوبة فيهم، الإبعاد لهم إلى الأماكن النائية لِيُؤْمَنَ شرّهُم	وحقّهم استصلاح فسادهم(**) وردّ مائلهم، وفطمهم عن العادات الرديئة بإغفالٍ مرة، وعقوبة أخرى، كتدبير الطبيب للعليل

(*) هذه أقسام الرعية من حيث أخلاقياتها، حيث أن كلمة **هؤلاء** تُشير إلى الرعية وليس إلى قسم منها.

(**) في (خ) وحقهم إصلاح فسادهم.

وصلاح هذه الأقسام المقدم ذكرها

بهذه الأمور(*)

- باستعمالهم في صناعتهم حتى لا يجدوا فراغاً لِفِكرٍ في مفسدة
- بالتقدم إليهم في كل وقت باجتناب الخوض في أسباب السلطان
- بالأخذ للضعفاء من الأقوياء، ويُساوي الأدْنَيْن(**) والأبعدين في السياسة
- وترك التعرُّض للمظلوم، وتسهيل الحجاب له، وإنصافه من الظَّالم
- وأن يجلس لهم في كل وقت لشكوى أو وصف حالٍ أو مسألة حاجةٍ
- وأن يُؤَمَّنوا من الأعداء الخارجين عنهم(***) بسد الثغور وإحكامها
- وليحرسهمُ من قُطَّاع الطّريق لئلّا ينقطع معاشهم بانقطاع سيرتهم
- وليؤمِّنُهم من اللصوص في منازلهم، لتكون الثغور مصونة والطرق آمنة(****) وأيدي الأشرار مقبوضة

(*) هذه قواعد التعامل مع الحاكم وما يجب عليه تجاه الرعيّة.

(**) في (خ) ويساوي الأقربين.

(***)في (خ) من أسر الأعداء الخارجين عليهم.

(****) في (خ) لتكون الثغور مصونة مأمونة.

ويجب على الرعية(*)

- أن لا يشرعوا في شيء من تعنت السلطان وتتبُّع أسراره
- وأن لا يدَعُوا النصيحة في الله تعالى إذا أراد(**) الإقدام على أمر غير جميل
- وليجتهدوا في تحسين العدل عنده وتزيينه وتقبيح الجور وتهجينه
- وذلك إنّما يجب على خواصّهم وعلمائهم أما غير هؤلاء فليس لهم ذلك
- وإذا عَرض لهم مكروه من بعض خواصّه فلا يتعرضوا له دون التألّم إلى سلطانهم
- وإذا اتفق له سرورٌ أو فرحٌ أظهروا الاستبشار بقدر ما في طوقهم(***)
- وإذا عرضت بليّة أو حزن فليشاركوه في حزنه ويساعدوه على ما هو فيه
- وليجيبوه إذا دعا في ليل أو نهار، ولا يُخالفوا له أمراً وليعتقِدوا ذلك دِيناً

(*) هذه بعض واجبات الرعية تجاه الحاكم.

(**) أي الملك.

(***) في (خ) بقدر ما في طاقتهم.

الركن الثالث(*): العدل

فهو حُكم الله في أرضه والدليل على شرف منزلته: إطباق الأمم عليه مع اختلاف مذاهبهم، فليس منهم إلّا مَن يُوصي به ويعرف فضله

وينقسم ثلاثة أقسام

أحدها: ما يقوم به العباد من حق الله تعالى عليهم

الأول	كالفرائض وما يتعلق بها
الثاني	والقرابين والضحايا
الثالث	وعمارة الجوامع والمساجد
الرابع	والقيام بالنوافل
الخامس	واستعمال ما أمر الله ورسول به(**)

الثاني: ما يقومون به من حق بعضهم على بعض

الأول	كإقراض بعضهم بعضاً
الثاني	وتأدية الأمانات
الثالث	وردّ الودائع
الرابع	والشهادة بالحق
الخامس	وفعل الخير

الثالث: ما يقومون به من حقوق أسلافهم

الأول	كتكفين موتاهم
الثاني	وعمارة مقابرهم(***)
الثالث	وقضاء ديونهم
الرابع	وتربية أيتامهم
الخامس	والصدقة عنهم

(*) من إضافات المحقق. (**) سقطت كلمة به من (خ). (***) في (خ) وتعمير مقابرهم.

ومن أعمال العدل(*)

- أن يُقيم كل المرء كل شيء على حقه وفي موضعه(**)
- وأن لا يُخالف السُنن الموضوعة له
- وأن يكون صدوقاً في كل ما ينبغي
- وأن يكون حفوظاً لمواعيده مُنجِزاً لها
- وأن يكون رحيماً بريئاً من الدّنس
- وأن يجتمع فيه الوفاء والأمانة وبعض المساوئ(***)



(*) هذه بعض مقومات العدل ومعناه.

(**) سقط حرف الواو الذي قبل في موضعه من (خ).

(***)هكذا وردت العبارة في (ط) و(خ). والملاحظ أن المعنى لا يستقيم بهذا الشكل، وكأنّ عبارة قد سقطت قبل عبارة [وبعض المساويء].

الركن الرابع(*): **التدبير(*)**

وتدبير المملكة على أربع قواعد(**)

- ١ عمارة البلدان
- ٢ حراسة الرعية
- ٣ تدبير الجُند
- ٤ تقدير الأموال

١

عمارة البلدان

وهي نوعان

- مزارع
- أمصار

وهي أصول المواد التي بها يقوم أود الخلق ويلزمه فيها حقوق ثلاثة

القيام بمصالح المياه	كف الأذى عنهم	تقدير ما يُؤخذ منهم بحكم الشرع والعدل
لينتفع بها القريب والبعيد	لئلا يشتغلوا بغير الزراعة	حتى لا ينالهم خوف ولا عسف

فإن حيف(***) عليهم في شيء من ذلك أو عسف(****) بهم، انعكس الصلاح إلى ضدّه

(*) من إضافات المحقق. (**) سقط العنوان من (ط).

(***) الحيف: الظلم والجور. (****) عسف بهم: ظلمهم أو سار بهم على غير هدى.

أمصار

وهي الأوطان الجامعة المقصود بها خمسة أمور

أحدها	الثاني	الثالث	الرابع	الخامس
أن يستوطنها أهلها طلباً للدعة والسكون	حفظ الأموال فيها من الاستهلاك	صيانة الحريم(*) والخدم من الانتهاك	التماس ما تدعو الحاجة إليه من متاع وغيره	لا يتعرّض للكسب وطلب المادة

فإن عُدِم فيها أحدُ هذه الأمور، فليست من مواطن الاستقرار

وتعتبر في إنشاء المدن ست شرائط

أحدها	الثاني	الثالث	الرابع	الخامس	السادس
سعة المياه المستعذبة	إمكان الميرة المستمدّة	اعتدال المكان وجودة الهواء	القرب من المراعي والاحتطاب	تحصين منازلها من الأعداء والذعار	أن يُحيط بها سواد يعين أهلها(**)

٢

حراسة الرعيّة

وهم أمانات الله الذين(***) استودعه حفظها واسرعاه القيام بها، **وقد تقدّم ذكرها**

٣

تدبير الجُند

بهم مَلَك المُلك، حتى قرِّر(****) واستولى حتى قدر، **وسنذكرهم إذا انتهينا إليهم**

(*) في (خ) صيانة الحرم. (**) في (خ) زيادة كلمة [جواز] لا مبرر لها.
(***) في (خ) وهي أمانة الله الذي. (****) في (خ) بهم كمُل المُلك حتى قُرِّر، أي استقر.

٤

تقدير الأموال

ويُعتبر من وجهين

تقدير دخلها
مقدر من وجهين

أمّا الشرع

فقد ورد النص فيه بتقديره

فلا يجوز أن يخالف

وأما باجتهاد

ولاة العدل فيما أداهم الاجتهاد(*)

فلا يسوغ أن ينقض

تقدير خرجها
مقدر من وجهين

أحدها

فيما كانت أسبابه لازمة أو مُباحة

الثاني

بالمُكنة حتى لا يعجز عنها دخل ولا يتكلف معها عَسفٌ

ولا يخلو حال الدخل إذا قوبل بالخرج من أحوال ثلاثة:

أحدها
أن يفضل الدخل على الخرج

وذلك هو المُلك المستقيم والتدبير السليم

ليكون فاضل الدخل معرضاً لوجوه النوائب معدًّا

الحالة الثانية
أن يقصر الدخل عن الخرج

وذلك هو المُلك المختل والتدبير المعتل

فتدعوه الحاجة إلى العُدول عن لوازم الشرع ويؤول إلى العطب

الحالة الثالثة
أن يتكافأ الدخل والخرج حتى يعتدل

وذلك يكون في زمن السلامة مستقلًّا وعند الحوادث معتلًّا

فإن تحركت به النوائب كدّه الاجتهاد وثلمه الإخوان(**) .

(*) في (خ) أدّاهم الاجتهاد إليه. (**) في (خ) [وتَلَمْهُ الأعوان].

ويجب على من أنشأ مدينة أو اتخذ مِصراً

ثمانية شروط

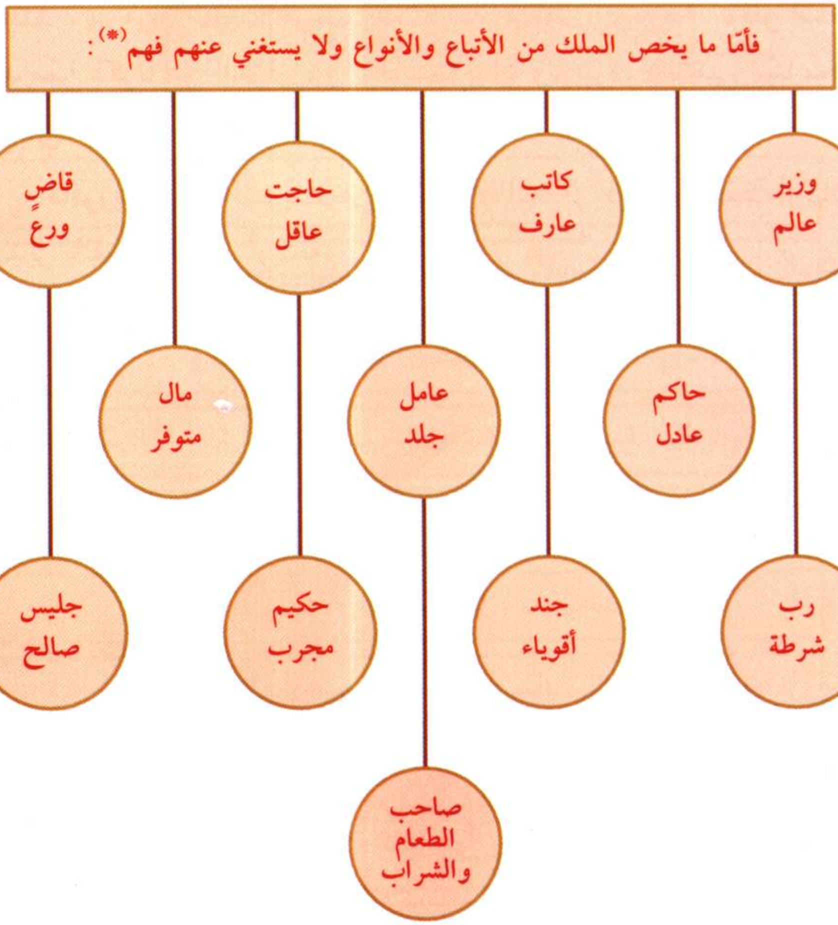
الأول	الثاني	الثالث	الرابع
أن يسوق إليها الماء العذب ليُشرب	أن يقدر طرقها وشوارعها	أن يبني فيها جامعاً للصلاة في وسطها	أن يُقدّر أسواقها بحسب كفايتها
حتى يسهل تناوله من غير عسف	حتى تتناسب ولا تضيق	ليقرب على جميع أهلها	لينال سُكانها حوائجهم من قُرب

الخامس	السادس	السابع	الثامن
أن يُميّز قبائل ساكنيها	إن أراد سُكناها فلْيسكن أفسح أطرافها	أن يحوطها بسور خوف اغتيال الأعداء	أن ينقل إليها من أهل العلم والصنائع بقدر الحاجة لسكانها(**)
بأن لا يجمع أضداداً مختلفة متباينة	وأن يجعل خواصّهُ كُفَالَهُ(*) من سائر جهاته	لأنها بجملتها دارٌ واحدة	حتى يكتفوا بهم ويستغنوا عن الخروج إلى غيرها

فإذا أحكم ذلك لم يبق عليه لهم إلّا أن يسير فيهم بالسيرة الحسنى ويأخذهم بالطريقة المثلى

(*) في (خ) كنفاً له والمعنى أن يُحيط به خواصّه من كل الجهات.

(**) في (خ): أن ينقل إليها من أهل العلوم وسقطت بقية الجملة.



اعلم أنه لا بُد لمن تقلّد الخلافة والملك من وزيرٍ على نظم الأُمور، ومعين على حوادث الدهور، يكشف له صواب التدبير، ألا ترى إلى نبيّنا محمد ﷺ مع ما خصّه الله تعالى به من الإكرام، وآتاه من الآيات العِظام، ووعَده بإظهار الدين، وأيّده بالملائكة المقربين، وهو مع ذلك موفّق للصواب، مؤيد بالرشاد، اتخذ علي بن أبي طالب - كرّم الله وجهه - وزيراً، فقال: «**أنت مني بمنزلة هارون من موسى**»[1]، **قال الله تعالى:**

(*) بيّن المؤلف، صفات وخصائص كل واحد منهم عدا [**حاكم عادل**].

﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلۡنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرٗا﴾[1]، **فلو استغنى أحدٌ ممّن ذكرنا عن المؤازرة والمعاضدة برأيه وتدبيره، لاستغنى نبيّنا محمد وموسى صلوات الله عليهما وسلامه.**

فالوزير، هو الشريك في المُلك، المدبِّر فيه[2] بحفظ أركانِه، المدبَّر بالقول والفعل أركانه.

(١) رواه أبو بكر المطيري في جزئه عن أبي سعيد بلفظ [عليٌّ منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنه لا نبي بعدي] (الجامع الصغير للسيوطي رقم ٥٥٩٧.

(٢) سورة الفرقان: [الآية رقم: ٣٥].

(٣) في (خ) المشير فيه.

ومن صفاته(*)

- أن يكون حسن العِلم بالأمور الدينية، لأن الدين عماد الملك
- وأن يكون حسن العقل، لأن العقل ملاك كل شيء وبِه تتدبّر الأمور
- وأن يكون شديد الحلم، جميل الصّفح، ما لم يضُرّ بالسياسة
- وأن يكون حُلو اللسان، بليغ القلم، ليُخاطِب الملوك
- وأن يكون حميد الأخلاق، تام القبول، أديب النفس
- وأن يكون سهل الحجاب، مبذول الإنصاف، طاهِر البِشْر
- وأن يكون معمور القلب بالنصيحة، معتقد الخير والصلاح
- وأن يكون قليل اللهو، بطيء الغضب، كريم الطبع
- وأن يكون كتوم السِرّ صبوراً محتملاً
- وأن يكون صحيح الجسم والرأي، جيد الفِكر

(*) (أي الوزير).

ومن جميل العناية بأهل عصرنا أن القائم بتشييد ما ذكرنا، والمتولي تدبير ما قدّمنا[١] من هو معدن الفضائل الموصوفة وربّ الصنائع المألوفة، والمحاسن المعروفة، الذي نشأ وهمَّته تأخذ بأعنان السماء، ومكانه من العلم نشأ في مناطِ الجوزاء[٢]، بدأ بالأدب فبرّز في ميادينه، وحمل لواء منثورِهِ وموْزونِهِ، فكأنّ العرب استخلفته على لسانها، والأيّام ولّتهُ زمام حدثانِها[٣]، فقد مُلِئت ساحات همّته حُكْماً وعِلماً، وأوعِيةُ أخلاقِهِ كرماً وحِلْماً، لم يألُ للدّين الحنيفيّ إلّا نصيحاً، ولم يدّخر للدولة الإماميّة إلّا نصراً فليحاً[٤]، فاستقرّت من رأيه الميمون أمور الدولة في مظانها، واطمأنّت متمكّنَةً في مكانِها، وانقادت له الأمور بأزمَّتِها، وأطاعته المقادير بأعِنَّتِها ، وتحلّت بمحاسن أفعاله النواحي والأطراف، وأشرقت بنورِ رأيه الضّواحي والأكناف، وشفع بديع جماله بكريم سجاياه، وعنوان صحيفة جوده بطلاقة مُحيّاه، وقلَّ من ضمنت خيراً طويته إلّا وفي وجهه للخير عنوان.

أطال الله في السعادة بقاءه، وحرس من عيون الحوادث حَوْباءه[٥]، وأسبع عليه الظِلّ الظليل الإمامي، ونصر بيُمن هيبتِهِ وسدادِ رأيه الجيش الإسلامي، ولا زالت دولته مترادفة الإزدِياد، ومُتّصلة الدوام ليوم المعاد[٦]، بمحمد ﷺ وآلِهِ وصحبه آمين، والحمد لله رب العالمين.

---

(١) المقصود في هذه السطور الخليفة العبّاسي (المعتصم).

(٢) الجوزاء: بُرج في السماء.

(٣) حِدثان الدهر وحَدَثانُه: نوائبه.

(٤) في (خ) نصيراً فليحاً.

(٥) في (خ) وحرس من غِيَر الحوادث حَوباءَهُ، ومعنى حوباءه: نفسه، مأخوذة من الحوبة، وهي الحاجة، لكون النفس موطناً للحاجات.

(٦) في (ط) متصلة بيوم المعاد.

وممّا يجب للوزير

- أن يبسطه الملِك غاية البسط ويُدنيه ويُقرّبه
- وأن لا يُشاور أحداً دونه، ولا يُقدّم أحداً عليه
- وأن لا يُكاتمه(*) شيئاً يُستعان به في مِثْلِه
- ولا يخالف له مشورةً، ولا ينشطُ أحداً للسعاية به
- وإن سمعها(**) فليجتنب عنها، فإن تيقّن صحتها صرفها إلى أحسن وجهها
- وإن أدرك زلَّةَ غفرها(***)، أو كانت له هفوة صفح عنها
- وأن يتعهّده بإنعامه وإكرامِه ولُطفِه، ولا يُقطع عنها
- وليظهِر في الخاصة والعامة صواب تدبيره وحُسن قبوله أمره
- ليشرح صدره وينشط(****)، ويتمكّن مما يُريد تدبيره

(*) في (خ) ولا يُكاتمه.

(**) أي السعاية أو الوشاية.

(***)في (خ) وإن زلّ زلّةً غفرها.

(****) في (خ) ليشرح صدره وينشط أمره.

ومما يجب عليه(*)

- يجب أن يكون خبيراً بأدب التدبير والسُنن والفرائض والأحكام
- وأن يكون ذا نصح للملِك، وأمانة وصدق قول وفعل يعتمد عليه(**)
- وأن يُنهي إلى الملِك كُل كلام يخاف عاقبته على المملكة
- وليجمع بذلك صدق الملك ونُصحِه، والخروج من اللائمة عند الحوادث
- ويُدمِن النظر في سِيَر الملوك وتدابيرهم وتجاربهم
- وأن يجعل نهاره للنظر في أمور العامة، ولَيلَه للنظر في أمور الخاصة
- وينبغي أن يوكل بنفسه مَن يرفع أخباره إليه فيتصفحها في خلوته
- وليُمضِ في الغدَ ما وافق الصواب، ويتلافى ما يمكن تلافيه
- وليكثِر عيونه على الخاصة والعامة، حتى يعرف أخبارهم وأحوالهم(***)
- وأن تكون شفقته على الملِك كشفقته على نفسه، وعلى الخاصة كحواسه، وعلى العامة كأعضائه
- وأن يحسن اختيار(****) مَن يستعمله في أعمال الملك ولا يُسامح أحداً في جنايته
- وليتفقد أقوال السعاة ويُميّز بين المحرج منهم والمتبرع

(*) المقصود هنا واجبات الوزير والتزاماته. (**) في (خ) ليعتمد عليه.
(***) في (خ) أخلاقهم وأحوالهم. (****) في (ط) وأن يُحسِن اختبار.

وأمّا الكاتب

فهو لسان الملك عند الخاص والعام

وله حالتان

- **حالة الرضى**
- **حالة السخط**

وبيتدئ بـ:

- الاحماد والاجتباء(*)
- ثم المدح والتقريظ
- ثم الثناء والدعاء
- ثم المكافأة والجزاء

عند

- **مكاتبة السلطان**
  - يبتدئ بالاستبطاء(**)
  - ثم التبكيت(***) والتقريع
  - ثم العذل(****) والتوبيخ
  - ثم الإنذار والوعيد
- **مكاتبة الاخوان**
  - يبتدئ بالمعاتبة
  - ثم الإستِزارة(*****)
  - ثم الشَكاية

(*) أي الابتداء بالعبارات المعروفة في بداية الكتابة من حمد الله والثناء عليه، والصلاة على نبيه المجتبى أي (المختار).

(**) الاستبطاء: أي اشعار المخاطب بذنبه وإبطائه أو تقصيره في أداء واجبه.

(***)التبكيت: أي التقريع والتوبيخ، لسان العرب، ١/٢٤٨.

(****) العذل والتعذال: الملامة، - لسان العرب، ٣/٦٣.

(*****) الإستزارة: سأله أن يزوره.

والكُتّاب أربعة

١ كاتب حضرة

٢ كاتب جيش

٣ كاتب أحكام

٤ كاتب خراج

١ أمّا كاتب الحضرة

- فيجب أن يكون ذكيًّا فطِناً بارعاً لسناً
- وأن يكون قادراً على تصوير الحق بصورة الباطل وبالضد
- وأن يكون مُتأدّباً، حسن الخط، جيّد العبارة بليغاً
- وأن يكون ذا علم بالنحو واللغة والفصاحة، عذب الكلام
- وينبغي أن يعرف مواقع الجنايات على أيدي المتصرفين
- ويجب أن يختار أجلّ الألفاظ لأجلّ المخاطبين
- وأن يجعل أفخم الألفاظ لأفخم المعاني وبالضِدّ
- وأن يعرف مراتب الملوك والمكاتبين، فيُعطي كُلًّا منهم حقّه

٢

وأمّا كاتب الجيش

- فيجب أن يكون عالماً بالحُلي وسياسات الدّواب(*)
- وأن يكون خبيراً بالسلاح عارِفاً بلُغات جُنده
- وينبغي أن يلزمهم إحضار بَرْكِهِم وخيلهم وعرضهم عليه في كل شهر(**)
- وينبغي أن يُنهي للوزير ما يحتاج إليه من النفقات والجرايات(***)
- وأن لا يؤخرهم عن أوقاتهم وعاداتهم لئلّا يشتغلوا بالكسب
- وينبغي أن يكون له دُربة بترتيب العساكر، ليُقدّم من يجب تقديمه
- وأن يكون ذا علم بجِيدِ الدّواب والسلاح ورديئهما

(*) في (خ) فيجب أن يكون ذكيًّا، عالماً بالحُلي وسياسات الدواب،

(**) البرك: جماعة الإبل الباركة، الواحد بارِك، والأنثى باركة، وتُجمع على بروك.
وعرضهم عليه في كل شهر: في (خ) وعرضهم عليه كل شهر.

(***) في (خ) يُنهي إلى الوزير. ومعنى الجِراية: ما يناله الجندي كل يوم من أجر.

٣

وأمّا كاتب الأحكام

- فيجب أن يكون(*) عارفاً بعلوم الشريعة وحدودها
- وأن يعرف ما يجبُ(**) فيه الجلْد والقتل والقطع
- وأن يكون خبيراً بالجنايات وأقدارها
- وأن يعرف أحكام الدّعاوى والبيّنات
- وأن يكون له خبرة بالإقرار والإنكار وما يجبُ فيهما
- وأن يكون عالماً بما يجوز للحُر والعبد والمكاتب
- وأن يكون بصيراً بالشهود وطبقاتهم وشهاداتهم
- وأن يكون له دربةٌ بأحكام الوكالات(***) ومن تجوز وكالته ومن لا تجوز

(*) سقطت عبارة (أن يكون) من (خ).

(**) سقطت كلمة (يجب) من (خ).

(***) في (خ) بأحكام الوكالة.

٤

وأمّا كاتب الخراج(*)

- ينبغي أن يكون خبيراً بحفر الأنهار ومجاري المياه
- وأن يكون عارفاً بالمساحات وتخمين الغلّات
- وأن يكون عالماً بفصول السَنة ومجاري الشمس
- وأن يكون بصيراً بالحساب وكسوره وترتيبه
- وأن يكون له دربةٌ بعقد الجسور والقناطر والمصالح
- وأن يكون له خبرة بما يدفع من الزرع في الأراضي
- وأن يكون بصيراً بأوقات الزرع وأحوال الأسعار
- وأن يكون عالماً بحقوق بيت المال وما يجب له

(*) كاتب الخراج: هو المسؤول عن أمور المال في الدولة.

وأمّا الحاجب

فهو الواسطة بين الملك وبين من يُريد لقاءه ليُرتّب الناس بين يدي الملِك كما يليق بمجلسه وصفته(*)

- يجب أن يكون فهِماً، ذا خلق واسع، ومنطق بارع
- وأن يكون طويلاً جسيماً وسيماً لتُرْوع العيون هيأته وهيبته
- وأن يكون ذا عقل وحكمة(**) يدُلّانه على صواب ما يأتي ويذَر
- وينبغي أن يكون لا مكفهِرًّا(***) ولا سهْلاً ليّن الإنقياد
- ويجب عليه أن يعرف مراتب الداخلين على الملِك، فينزلهم منازلهم
- ولا يسبغ الإذن(****) عند جلوس الملك ولا يطلقه عند خلوته
- ويجب عليه أن يعرف سير الملوك وقواعدهم، وخاصة الملك وعامته

(*) هذه واجبات والتزامات الحاجب في التعامل وعددها (١٦) صفة موجودة في هذه الصفحة والتي بعدها.

(**) في (خ) ذا عقل وحزم.

(***) في (خ) وينبغي أن لا يكون مكفهراً. ومعنى: فلان مكفهر: أي منقبض لا يُرى فيه أثر بِشر ولا فرح.

(****) في (خ) ولا يمنع الإذن.

تابع: ما يجب على الحاجب(*)

وليعرف عُذر من تأخّر منهم ليُجيب السلطان إن سأل عنه(**)

وليأمُر من يسير بين يدي الملِك ببُعدهم عن رِكابِه

وليمنع العَوام من التعرض لرِكابه بالقِصص، وليأمر بأخذها منهم

ويجب عليه مُراعاة الوزير والامتثال لأمرِه، لأنّه المُشار إليه دونه

وينبغي أن يعرِف أخبار الملك في كل وقت، ويوصِل إليه الأخبار

وليأمُر البوابين بإنهاء ما يرِد عليهم، لئلا يخفى عنه من دارِ الملك شيء

وليعرف الأوقات التي يجلس فيها الملِك، والأوقات التي يكون في خلوته(***)

وينبغي له أن يُراعي خواص الملِك، ويُكرمهم ويعرف مواضعهم

ولا يفسح لأحد منهم في الدخول عليه، إلّا بإذنه ولو كان ولداً(****)

(*) من إضافات المحقق.

(**) في (خ) إذا سأل عنه.

(***) في (خ) في خلوته فيها.

(****) أي لو كان الداخل ولد الملِك نفسه.

وأمّا القاضي

فهو ميزان الملِك من رعيته وصفته

- يجب أن يكون ذا وقار وَوَرَع وأناة وزُهد
- وأن يكون ذكيًّا فطِناً عالماً عاقلاً عارِفاً بأدب القضاء
- وأن لا يعجَل في الحكم قبل ثبوته ولا يتوقف عند التبين
- وأن يكون فقيهاً نَزِهاً عفيفاً خبيراً بمذاهب الناس
- وأن يكون مُمارساً للأمور مستمرًّا في التسوية بين الخُصوم
- وأن يكون صادِعاً بالحق على من وجب عليه غير مراقب
- وأن لا يقبل(*) هدية ولا يسمع قول شفيع في شيء من أمور الحُكم
- وأن لا يأذن لأحد الخصمين دون الآخر، بل يخصهما سواء
- وأن يكون قليل التبسّم، طويل الصمت، شديد الإحتمال
- وأن لا يُكلّف أحد الخصوم حاجة، ولا يصفح عن سقطاتهم وزلّتهم(**)
- ويجب عليه أن يجعل على أموال الأيتام والوقوف والمصالح حافظاً(***)
- وأن يُبالِغ في التفتيش على الشهود والوكلاء، ويعرِف أحوالهم
- ويجب أن يكون راهب الأُمّة وناشد البريّة، وعالِم الناس في ذلك الوقت

(*) سقطت [لا] من (خ) وبدونها لا يستقيم المعنى. (**) سقطت لا من (خ) قبل يأذن ويصفح. (***) في (خ) حافظاً يثق به.

وأمّا صاحب الشرطة

فينبغي أن يكون حليماً مهيباً دائم الصمت، طويل الفِكر، بعيد الغور(*)

وأن يكون غليظاً على أهل الرِّيَب، في تصاريف الحِيل، شديد اليقظة(**)

وأن يكون حفيظاً ظاهر النزاهة عارفاً بمنازل العقوبة، غير عجول

وينبغي أن يكون نظرُه شزراً(***)، قليل التبسّم، غير ملتفت إلى الشفاعات

وأن يأمر أصحابه بملازمة المحابيس، وتفتيش الأطعمة وما بداخل السجون

وليأمر الحُرّاس من أول الليل إلى آخره، بتفقّد الدروب والشوارع ويحكم أمرها

ولينظرها آخر وقتٍ(****)، ومن يخرج منها عند فتحها، فهو وقت الريبة

(*) غور كل شيء: قعره وعمقه، ويقال فلان بعيد الغور: أي متعمق النظر، - لسان العرب، ٤/١٠٢٦.

(**) سقطت عبارة [شديد اليقظة] من (خ).

(***) الشزر: الحمرة في العين، والنظر الشزر الذي فيه إعراض أو النظر على غير استواء من مؤخر العين.

(****) في (خ) ولينظر من يدخلها أول وقت.

تابع: واجبات والتزامات صاحب الشرطة(*)

- ويجب عليه عمارة سور المدينة وأبوابها، ولمّ شعثها، ومعرفة من يدخلها
- ويجب عليه إقامة الحدود كما وردت في الكتاب العزيز، والعمل بها
- وليعلم أن الله تعالى، أعلم بصَلاح عبادِه فلا يُهمِل من حدوده شيئاً
- وإذا أفرج عن أحد من السجن، ثم عاد بجُرم، فليجعل الحبس قبره
- وليمنع المظلوم من الانتصار لنفسه بيده، بل ينهي حاله ليقابل بما يستحق
- ويأمر العامّة، أن لا يجيروا أحداً، ولا ينبّهوه للهرب، بل يدلّون عليه(**)
- وينبغي أن تكون عقوبته الخاصّ والعامّ واحدة، كما أمرت الشريعة

(*) من إضافات المحقق.

(**) في (خ) ولا ينبهوه، فإن الضرر يعود إليهم.

وأمّا الجُند

وهم حملة السّلاح
بهِم تُدفع الأعداء وتُؤخّذ المُدُن(*)

- يجب أن يكون له(**) صاحب من الثُقاة والكُفاة والهُداة العارفين بمكايد الحرب
- ويجب أن يكون أيضاً مطيعاً قابلاً لما يُشارُ إليه، باذِلاً جهده في نُصح الملك
- وينبغي أن لا يتخذ من الجند من كان معتاداً للرقّة والراحة والتنعّم
- ويُمنعون من اتّخاذ الصنائع، ويُؤخذون دائماً بالرياضة والفروسية
- ويُتفقّد أحوالهم في كل وقت، ويوفون أرزاقهم ليشتغلوا بما يُؤمرون به
- ويجب أن يكونوا متيقظين، سريعي الغضب، قليلي النّوم، كثيري الحركة
- وأن يكونوا ذوي بأس ونجدة، مُؤتلِفي القلوب على طاعة ملِكِهم
- ولْيُؤمّر رُؤوسهم وقوادهم، بعرضهم في كل شهر مرةَ ويَعتَبر عدّهم
- ولْتكُن قوّادهم من أكابرهم قدراً وأعرفهم بالوقائع والحروب
- وأن يجعل على كل عشرة قائداً، وعلى كل عشرة من القوّاد رئيساً، حتى ينتهي إلى ربّ الجيش
- وأن يقوم بكفايتهم حتى لا يحتاجوا، **فتدعوهم الحاجة إلى أُمور ثلاثة:**
  - إمّا أن يتسلطوا على الرعية(***)
  - وإمّا أن يعدِلوا إلى مَن يقوم لهم بالكفاية
  - وإمّا أن يشتغلوا بالكسب، فلا ينتفع بهم عند الحاجة

كتب أرسطو إلى الإسكندر: تفقّد جُندك، فإنّهم أعداء تنتقِم بهم مِن أعداء

(*) سقطت عبارة [وتؤخذ المدن] من (خ). (**) سقطت كلمة [له] من (خ) والمقصود أن يكون للملِك صاحب جند. (***) في (خ) على أموال الرعيّة.

وأمّا العامل

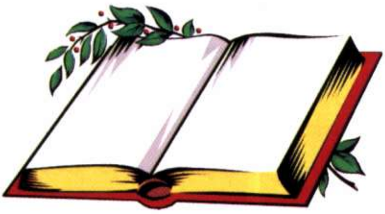
فهو جامع الأموال وعامر الأعمال

يجب أن يكون عالماً بأمور السّواد(*)

وأن يكون ناصحاً في جميع الأحوال عاملاً بالعدل

وأن يكون فيه إنصاف وإنتصاف وعمارة ونزاهة

وليكن قصده(**) إدرار أموال الرّعيّة وتوفير مال السلطان



(*) في (خ) يجب أن يكون عاقلاً، عارفاً، عالماً بأمور السواد، وسواد القوم: معظمهم، وسواد الناس: عوامهم، وسواد البلدة: ما حولها من الريف والقرى - لسان العرب، ٣/ ٢٣٤.

(**) في (خ) وأن يكون قصده.

وأمّا المال

فهو قوة الملك وعليه الاعتماد ويحتاج إلى أمور أربعة(*)

الحث على جمعه ونموه

- يجب أن يأمر الرعية بالإستكثار من العمارة
- لأن الحماية بالحروب، والحروب بِخَيْل، ولا تقوم الخيل إلّا بمال
- وأن يؤاخذ الرعية على التقصير في الاكتساب

اختيار مَن يتولى حراسته

- ينبغي أن يكون الخازن أميناً على ما يتولاه
- وأن يكون عفيفاً غنيّ النفس ذا مال
- وأن يكون بعيداً من الخيانة غير متشاغل باللهو

اختيار مكان حرز يحفظه

- يجب أن يكون في أحرز(**) مكان
- وأصوَن موضع، وأبعده عن النظر
- وأن يُباشِره بنفسه عند خزنِه، ويراعيهِ

وجه الحاجة إليه

- يُراد لسدّ ثغرٍ، وقمع عدوٍ
- ويُراد لدفع مكروه، وقوة عاجز
- ويُراد لفك عان(***)، وقضاء دين

(*) في (خ) أربعة أمور، يُبيّن هذا الجزء أهمية القدرة المالية للدولة.

(**) الحرز: الموضع الحصين، نقول: هو في حرز لا يوصل إليه - لسان العرب، ١/ ٦٠٦.

(***) العاني: الأسير، وتجمع على عناة.

وأما الحكيم(*)

- ينبغي أن يكون حاذقاً لطيفاً رقيقاً طويل الفكرة
- وأن يكون صحيح الرويّة، كثير الدرس في الكتب القديمة
- ويحب أن يكون عالماً بمجرى علم الطب وعمله
- وأن يكون كثير العِلاج والتجارب، عالماً بالمجازات
- وينبغي أن يكون خيّراً، ديّناً(**)، مأمون السيرة
- ويجب أن يكون ثوبه نظيفاً ورائحته طيّبة
- وينبغي أن يكون عارفاً بالعقاقير والأدوية والأغذية
- وأن يكون(***) عالماً بمفردها ومركبها وجيّدها ورديّها
- وأن يكون بصيراً بفصول السنة وأوقات الإعتدال
- وليعرف المياه والأهوية والبلدان وما يُستعمَل فيها
- وينبغي أن يكون عارِفاً بأحكام النجوم وتسييراتها
- وأن يعتني بعلم الاختيارات لكثرة حاجة الملوك إليها

(*) هذه خصائص الحكيم المجرب.

(**) في (خ) أن يكون ديّناً خيّراً.

(***)في (خ) لم يذكر عبارة [وأن يكون]، بل أكمل الكلام عن العقاقير والأدوية والأغذية.

وأمّا الجليس(*)

فإن الملك يحتاج إليه كحاجته إلى الوزير والحاكم وغيرهما

وينبغي أن يكون رجلاً من العُظماء عاقلاً ديّناً حرًّا عفيفاً

وأن يكون متأدّباً بأحسن الأخلاق مسفر الوجه مقبول الصورة

وأن يكون معتدل الشكل لا ضخم ولا نحيف، بل يكون صحيح الأعضاء

وأن يكون نقي الثوب، طيّب الرائحة، بعيداً عن المعايب

وينبغي أن يكون(**) ذا معرفة بالنحو واللغة والبلاغة والفصاحة

وأن يكون حافظاً لصواب الشِعر(***) ومُلحِه ومُجونِه ونوادره

وأن لا يخلو من الحكايات والمفاكهة وضروب الأمثال في أوقاتها

وأن يكو كتوماً للأسرار، بعيداً من النميمة، حسن المحضر للناس

وليكن خبيراً بخصائص الملوك، مُبَجِّلاً لخواصّه، مُكرِماً لهم

وإذا عرضت للملِك حاجة ونظر إليه، فلِيقم، فإن عاد فلْيقِف حتى يأذن له ثانياً

(*) هذه خصائص الجليس الصالح.

(**) في (خ) وأن يكون.

(***) في (خ) وأن يكون حافظاً لعيوب الشعر.

وأما صاحب الطعام والشراب(*)

ينبغي أن يكون ثقةً مؤتمناً عاقلاً حرًّا مجِلًّا للملِك، مجتهداً في رضاه

وأن يتلطّف في منع الملِك عن بعض المطاعم التي لا توافقه، ويُعرّفه وجه المصلحة في تركها

وأن لا يعرض عليه طعاماً عرضّه مرّة قبلها، بل يصرِفه في الوجوه الجميلة

ولا يكون بخيلاً ولا مضيعاً، وينبغي أن يتصفّح المطبخ، أوّل الأوقات وآخرها، لأجل الغداء والعشاء

وليتفقد الطعام والشراب في كل ساعة حتى الملح والخلّ وأشباههما

وليُكثِر مراعاة الآلات، فإن رائحة الطعام وجودة عَرْفِه(**) وحسن تنضيجه، يفتق الشهوة

ويجب أن يكون خبيراً بتنصيص الألوان وترتيبها وأوقاتها، ليختار لكل فصل ما يليق به

وينبغي أن يكون عارِفاً بما يُجلب من البلاد من المطاعم والمشارب والجيّد منها والمغشوش

وأن يكون ذا علم بأدب المجلس بصيراً بتعبيته وبحسن أوانيه

ويجب أن يكون عالماً بما يهوى الملِك من الأطعمة والأشربة، فيُبالغ في إتخاذه وتجويده

(*) هذه خصائص المسؤول عن طعام وشراب الملك.

(**) عَرَّف الطعام: أكثر أدمه وزيّنه وطيّبه.

ونحن ذاكرون من أقاويل القدماء وأهل الفضل، ما نجعله خاتمة كتابنا هذا، فإنّ النوادر[١] والوصايا والحكايات والأمثال في هذا الفن، غناءٌ عظيم وفوائد جليلة:

فمن ذلك

كتب بعض ملوك الفُرس[*] إلى حكيم لهم:
ما الذي يُحيي الفِتَن، وما الذي يميتها؟
فكتب إليه

أما ما يُحييها	وأمّا ما يميتها
غفلة مُلتذّ ويقظة محروم	ذل مسلوب عن سالب
وضغائن حبّها أثرة	ودرك بغية
وأطماع من لم يقنعهما ذعر	وموت أمل
وجرأة ولّدَها الإستخفاف	وذهاب ذُعر
وأكّدَها انبساط الألسن بضمائر القلوب	وتمكُّن رعب
وإشفاق موسر من ألم معسر	وهيبة في قلوب الأعداء

---

(١) في (خ) فإن للنوادر. (*) في (خ) [بعض الملوك] دون ذِكر كلمة الفُرس.

اختلاف الناس في سلوكهم وآرائهم ومذاهبهم وطباعهم على نماذج عدّة[١]

فأمّا اختلاف الناس في آرائهم ومذاهبهم وعاداتهم، فهم مختلفو الطّباع في أغراضهم وشهواتهم، فمنهم مَن يكون قويًّا في المعاني التي نذكرها، ومنهم مَن يكون ضعيفاً فيها كلها، ومنهم مَن يكون قويًّا في البعض، ضعيفاً في البعض.

وينقسمون إلى أربعة أقسام[*]

- المؤثرون الزهد في الدنيا
- المؤثرون للآداب الدنيوية
- المؤثرون للذات البدنية
- المؤثرون المفاخرة بالمال والجاه

القسم الأول

هم المؤثرون الزّهد في الدنيا: وهم نوعان

النوع الأول	النوع الثاني
هم الذين مالوا إلى العلوم الدينية، كالفقه والتفسير والحديث[**]	هم مختارو[***] التجرّد والانقطاع والسياحة في الجبال

(١) من إضافات المحقق.

(*) من إضافات المحقق.

(**) في (خ) والأحاديث.

(***) في (خ) هم الذين يختارون.

القسم الثاني

المؤثرون للآداب الدنيوية: وهم أنواع

الأول	الثاني	الثالث	الرابع	الخامس	السادس
هم الذين إرادتهم إشاعة الخير عنهم بالعلم من غير اشتغال	هم الذين شهوتهم جمع الكتب فقط دون الاشتغال بها	هم مختارو أدب الرّوم كالطب والنجوم والفلسفة	هم مؤدّبو أثر الفرس في السّير وتدبير الممالك(*)	هم الذين يؤثرون علم الأنساب والأيام والوقائع(**)	هم الذين يميلون إلى آداب العرب كالشعر والنحو والكتابة



(*) مؤدبو أثر الفرس: أي يقتدون بهم - الفرس - ويقلدونهم بالسيّر وتدبر الممالك، وفي (خ) المُلك بدل الممالك.

(**) في (خ) علم الإنسان والأيام والوقائع، وعلم الإنسان: هو العلم الذي يدرس نواحي النوع الإنساني وكل الظاهرات من حيث تعلقها بالإنسان.
أما علم الأنساب فهو العلم الذي يعرف منه أنساب الناس وقواعده الكلية والجزئية، (انظر الموسوعة العربية الميسرة ١/ ٢٣٥ ودائرة المعارف ٤/ ٤٩٤).

القسم الثالث

المؤثرون للذات البدنية: وهم أنواع

النوع الأول		
هم الذين ميلهم إلى المطاعم والتأنّق فيها والمبالغة في اتخاذها		
وينقسمون أقساماً		
كمن يميل إلى الطعوم الدسمة وشبهها(*)	كمن يمتنع مما تقدم ويستعمل اللبن والبقول	كمن يختار أكل الطين والاشنان وشِبْهِه(**)

النوع الثاني		
هم الذين ميلهم إلى المشارب واتخاذها وبغية مجالسها(***)		
وينقسمون أقساماً		
كمن يهوى الأشربة الحلوة وأشباهها	كمن يختار شُرب الأنبِذة وأشباهها	كمن غرضه ما يفسد العقل ويغيّره

النوع الثالث	
هم الذين غرضهم السماع وما يتعلق به وتفضيله على غيره	
وينقسمون قسمين	
كمن يوثر حسن الصوت فقط	كمن غرضه آلة مخصوصة من الآلات

النوع الرابع			
هم الذين مرادهم الباه(****) وجعل كدّهم لأجله لا غير			
وينقسمون أقساماً			
كمن يميل إلى النساء ومعاشرتهن	كمن يفضل الغِلمان على غيرهم	كمن يختار النظر دون غيره	كمن يهوى أن يكون مفعولاً به لا فاعلاً

(*) سقطت كلمة وشبهها من (خ).

(**) الأشنان: جمع شن وهي قطعة الجلد إذا يبِست.

(***) في (خ) وبُغيِة محاسنها.

(****) الباه: مثل الباءة وهو الزواج.

النوع الخامس

هم الذين يفعلون أموراً قبيحة يألفونها فتصير عادة

وينقسمون قسمين

كمن يعتاد تقريض لحيته	كمن يُقلّم أظفاره(*) بفيه وأشباه ذلك

القسم الرابع

المؤثرون للمفاخرة بالجاه والمال: وهم أنواع(**)

النوع الأول	النوع الثاني	النوع الثالث	النوع الرابع	النوع الخامس
هم الذين يختارون معاشرة الأصدقاء واتّخاذ الإخوان	هم الذين يقتنون المال ويفتخرون بجمعه وحفظه ومراعاته	هم الذين ميلهم إلى اقتناء الأملاك والعقارات دون غيرها	هم الذين إيثارهم إقتناء الآلات الجميلة والأدوات الحسنة	هم الذين اختيارهم علوّ المنزلة عند السلطان والقرب منه

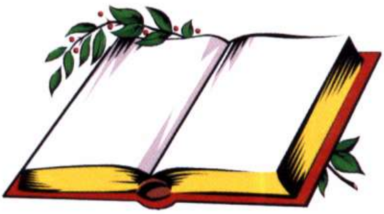
(*) في (خ) كمن يقرض أظفاره، ويقرض الشي: يقطعه.

(**) من إضافات المحقق.

وينقسمون بعد ذلك إلى أقسام ثمانية[1] يأتي ذكرها :

وهي :

1. **صنف يفعلون الخير طبعاً**
   وهذه صفة الأحرار
2. **صنف يشكرون المحسن**
   وهذه صفة الشاكرين
3. **صنف ينكرون الإحسان**
   وهذه صفة كافري النعمة
4. **صنف يكافئون الإحسان بالإساءة**
   وهذه صفة الأنذال
5. **صنف يقترفون الشر طبعاً**
   وهذه صفة الهوام السميّة(*)
6. **صنف يسيئون إلى من أساء إليهم**
   وهذه صفة الحاقدين
7. **صنف يصبرون على الأذى**
   وهذه صفة ذوي العقول والاحتمال
8. **صنف يحسنون وإن أسيء إليهم**
   وهذه صفة الملائكة من الإنس



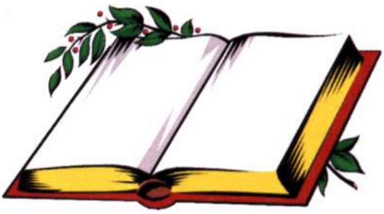
(١) **هذه أقسام سلوك الناس من حيث أخلاقيّات ردود الفعل.**

(*) الهوام السميّة: الحيّات وكل ذي سُم يقتل سُمه، وأما ما لا يقتل ويسم فهو السوام لأنها تسم ولا تبلغ أن تقتل مثل العقرب - لسان العرب، ٦/ ٨٣٢.

وأفعال المرء وأقواله

لا تخلو من أربعة أحوال(*)

الحالة الأولى	الحالة الثانية	الحالة الثالثة	الحالة الرابعة
جائزة في العِلم غير جائزة في الأدب	جائزة في الأدب غير جائزة في العلم	جائزة في العلم والأدب معاً	غير جائزة في العِلم ولا في الأدب
كالأكل في الأسواق، والبول على شوارع الطرق، وأشباه ذلك	كالشرب في أواني الذّهب والفضة، ولبس الحرير والتختم بالذهب وأشباهه	كخدمة الرجل ضيفه، وبرّ الوالدين، ومجازاة المحسن، وبذل المال	كالزّنا والسُّكر(**) والشره والكذب، وما أشبه ذلك



(*) يذكّر المؤلّف هنا أنواع الأفعال والسلوك من حيث شرعيتها وعدم شرعيتها.

(**) في (خ) والشُرب.

ومما يجب على المعتني بإصلاح أخلاقه والمحب لكمال ذاته مراعاة هذه الأمور

- أن يغتنم الحياة التي بها فارق الأموات والجماد فيصرف زمانه في المهم دون غيره
- وأن يحذر من قول بعضهم: «إن أمرؤ ذهبت من عمره ساعة لحري أن تطول حيرته عليها»
- وأن يكون متفقداً لجميع أخلاقه(*) ومتيقظاً لسائر أحواله منتقصاً لمذموم العادات
- وأن يحترز من دخول النقص عليه، وليجتهد في بلوغه غاية الكمال
- وأن يكون أبداً عاشقاً لصورة الكمال، مستلِذاً محاسن الأخلاق ومحمودها
- وأن يعتني بتهذيب نفسه، فلا يستكثر ما يقتنيه من الفضائل والعلوم النافعة
- وأن يكون مستصغراً للرتبة العليا، طالباً غايتها بجهده، جاعلاً غرضه الإحاطة بها
- وأن لا يقف عند غاية من العلم، إلا ويومىء بطرفه إلى ما فوقها، ليزداد بصيرة

(*) في (خ) لجميع أحواله وأخلاقه.

تابع

مما يجب على المعتني بإصلاح أخلاقه والمحب لكمال ذاته مراعاته(*)

- وأن يأخذ نفسه بأوامر الله ورسوله، وأولي الأمر من بعده، ليؤدّبها بآدابهم
- وأن يسدد طرفاً من علم اللسان، ويعتني بالبلاغة والفصاحة والكتابة والدّرس
- وأن يجعل لشهواته قانوناً راتباً(**) يقصد فيه الاعتدال، ويجتنب الإسراف
- وأن يقمع أبداً سَوْرَةَ القُوَّتين(***) الغضبية والشهوانية، ويستعمل قوة العقل عليهما
- وأن يحتنب مخاطبة النساء والصبيان والعامة والسفهاء، ويلازم الصمت عما لا ينبغي
- وأن يجتنب أيضاً محاكاة الغير بالكلام، واستعمال السّفه بالألفاظ القبيحة، ويترك الحلف
- وأن يكون سهل اللقاء والبشر والتسليم سابقاً به(****)، بعيداً من الأشرار، مستعمل القصد في كل أموره(*****)
- فإنّه إذا فعل ذلك، كان خليقاً(******) أن يملك نفسه ويألف حسن السيرة

(*) من إضافات المحقق.

(**) قانوناً راتباً: أي ثابتاً.

(***)سورة القوة: حدّتها، وسورة السلطان: سطوته.

(****) سقطت عبارة **سابقاً به** من (خ).

(*****) في (خ) مستعملاً للخير وقد سقطت عبارة في كل أموره.

(******) في (خ) كان جديراً.

فإن الإنسان إذا راعى هذه الأشياء(*) وسلك سبيلها(**)

- صار محبباً إلى الناس
- مقبول القول معظّماً عندهم
- موقّراً عند الرؤساء(***)
- قوّى النفس على الفعل الجميل
- قادراً على إطّراح الفعل المرذول
- وغلب عليه الصّلاح
- ولحق برتبة أهل الفضل(****)
- وصارت الفضائل له ديدناً(*****)
- وأصبح مكرماً عند الله تعالى

(*) في (خ) هذه الأحوال.

(**) هذه النتائج التي تعود على مَن يعتني بإصلاح أخلاقه وكمال ذاته.

(***) في (خ) موقراً عند الرؤساء والأدباء.

(****) في (خ) أهل العلم.

(*****) الديدن والدَيْدان: العادة والدأب.

وصية لبعض الحكماء تحتها معان نذكرها

- **جوّد عطرك**
  - **معناه**: وسّع معروفك
- **طيّب رائحتك**
  - **معناه**: نظّف همتك(*) من المعصية
- **وقلّم أظفارك**
  - **معناه**: كُف لِسانك عن المعايب
- **وقصّر خطوتك**
  - **معناه**: تمهّل في الأمور
- **ونظّف ثوبك**
  - **معناه**: حسّن خلقك
- **ولا تحقر عدوّك**
  - **معناه**: لا تستصغر اليسير من الهوى

(*) في (خ) نظّف جسمك.

وقال بعض الملوك لوزرائه: ميّزوا لي كلمات إذا سمعها عاقل حفظها

فقالوا

ولا تغتر بمال	ولا تفتن بإمرأة	ولا تعمل عملاً	لا تحمل على بدنك
وإن كثُر	وإن حسُنت	ليست لك فيه منفعة	ما لا تُطيق

وقال بعض العلماء

ثماني خِصال قبيحة
وهي
بمن نذكرهم أقبح

٤	٣	٢	١
البذل	**العظمة**	**سرعة البطش**	**الضيق**
من النّساء	من السفهاء	من السلطان	من الملوك

٨	٧	٦	٥
الكذب	**الصِّبا**	**البخل**	**الجهل**
من الحكماء	من العقلاء	من الأغنياء	من الأشراف

من وصايا العلماء والحكماء ما نحن ذاكروه

قال حكيم: لا يجب أن تحث غيرك(*) على فضيلة، ما لم تكن كاملة فيك، فإنّ فعلك يخبر عن قبول كلامك

وقال آخر: ليكن فرحكم في الدّنيا بقدر ما تدّخرونه لأنفسكم، لا بما تقتنونه لغيركم

وقال آخر: لا تحضر منازعة، فإنّك لا تخلو من قسط من أذاها، ولو بالمطالبة بإقامة الشهادة

وقال آخر: لا تُغْر أخاً على أخٍ، فيوشِك أن يصطلحا عن قليل، وتكسب المذمّةً بما فعلت

وقال آخر: اختر أن تكون مغلوباً وأنت مُنصف، ولا تكُن غالِباً وأنت ظالم

وقال آخر: من استحق منك الخير فلا تنتظر ابتداءه بالمسألة، ليكون أكمل التذاذاً وأهنأ موقعاً

وقال آخر: الشيء الذي لا ينبغي أن تفعله فلا تهوهُ ولا تحكم من قبل سماع الخصمين(**)

وقال آخر: يجب على من اصطنع معروفاً أن يتناساه، وينبغي على من أُسدي إليه أن يكون ذكره بين عينيه

وقال آخر: الأدب يزين الغني ويستر الفقير، ومن تشاغَل به، فأقلّ ما يربح منه أن لا يتفرّغ للخطأ

وقال آخر: لا تُضادّ شيئاً من الخير، ولا تستقن شيئاً من السّيئات، واعددنَّ أذى، فلا تجري متى الدّعة(***)

(*) في (خ) قال حكيم: لا تحث غيرك. (**) في (خ) فلا تقربه، ولا تحكم قبل سماع الخصمين. (***) في (خ) فلا ندري متى الرِّحلة.

تابع: وصايا العلماء والحكماء(*)

وقال آخر: لا ينبغي أن تترك ما هو أفضل، من أجل السرور الزائل، فتترك السرور الدائم والنعيم السرمدي

وقال آخر: أحبب الحكمة وأنصِت للحكماء، واطّرح سلطان الدّنيا، فلا تفعل شيئاً في غير وقته وأوانِه(**)

وقال آخر: لتكن سيرتك مع الناس كلّهم بالتواضع، ولا تستحقر أحداً لتواضعه، ولا تسْفَه على أحد

وقال آخر: لا تفرح بالبطالة، ولا تتّكِل على البخت، ولا تندم على فعل الخير، والزم العدل في كل أمورك

وقال آخر: إذا لم تُطِعك نفسك فيما تحملها عليه مما تكره، فلا تُطِعها فيما تحملك عليه مما تهوى

وقال آخر: احفظ نفسك من الزلل،ولا تضحك إذا عُثِر، وألجم غضبك، لئلّا يخرجك من عقلك(***)

وقال آخر: احذر أن ترتكب قبيحاً في خلوة أو مع غيرك، وليكن استخبارك من نفسك أكثر

وقال آخر: إذا سمعت كلاماً جيداً أو رديئاً، فلا تمتعض من سماعه، وإن كان لازماً فهوّن على نفسك

وقال آخر: كلّ ما عذرت نفسك عليه، فلا تلُم أخاك عليه، وإذا فعلت فعلاً وظهر لك رداءته(****) فلا تعاوده

وقال آخر: من التمس الرّخَصَ في المشورة من الإخوان، ومن الأطبّاء عند المرض، ومن الفقهاء عند الشبه، فقد أخطأ الرأي

(*) من إضافات المحقق. (**) سقطت كلمة [وأوانه] من (خ). (***) في (خ) لئلّا يخرجك [عن] عقلك. (****) فلا تلم أخاك على فعله... وظهرت لك رداءته.

وينبغي أن يُتَحَرَّز من هذه الآفات

الأولى	الثانية	الثالثة	الرابعة
آفة المَلِك	آفة الوزراء	آفة الجند	آفة الأمراء
سوء السيرة	خُبث السريرة	مخالفة القادة	مفارقة الطّاعة

الخامسة	السادسة	السابعة	الثامنة
آفة الرعية	آفة العلماء	آفة القضاة	آفة العدول
ضعف السياسة	حب الرياسة	شَرَهُ الطمع	قِلّة الورع

التاسعة	العاشرة	الحادية عشر	الثانية عشر
آفة المُلْك	آفة العدل	آفة الرأي	آفة القُوى(*)
تضاد الحماة	ميل الولاة	إضاعة الحزم	إستضعاف الخصم

الثالثة عشر	الرابعة عشر	الخامسة عشر	السادسة عشر
آفة المَجد	آفة العزم	آفة المنعِم	آفة المذنب
عوائق القضاء	انتقاص الآراء	قُبح المنّ	سوء الظن

(*) في (خ) آفة القوي.

وصيّة

أوصى بها أرسطو للإسكندر فقال

إذا استولت بك السلامة(*) فجدّد ذكر العطب	وإذا هنتك العافية، فحدّث نفسك بالبلاء	وإذا اطمأنّ بك الأمن، فاستشعر الخوف	وإذا بلغت غاية الأمل، فاذكُر الموت	وإذا أحببت نفسك، فلا تجعل لها في الإساءة نصيباً(**)	ولن لأبناء السبيل والطف بهم في سياستك

وصيّة

أوصى بها بهمَن(***) الملك ولده فقال

لا تستشعر الحقد، فيدهمك العدو	لا تحِب الإحتكار، فيشملك القحط(****)	تزوّج في الأقارب، فهو آمن للرحم(*****) وأثبت للنسب	لا تهتم بالدنيا، فإنه لا يكون إلّا ما قدّر الله	ولا تعدّها(******) شيئاً، لأنها لم تبق لأحد قبلك	ولا ترفضها مع ذلك، فإنّ الآخرة لا تُنال إلّا بها

(*) في (خ) إذا صفت لك السلامة. (**) في (خ) في الآثام نصيباً. (***) سقطت [**بهمن**] من (خ). (****) في (خ) فيدهمك القحط. (*****) في (خ) فهو أوصل للرحم. (******) أي الدّنيا.

خاتمة الكتاب[*]

★ ★

وإذ قد وفيّنا بما أردنا تلخيصه وتشجيره في هذا الكتاب، وذكرنا في آخر كل فصل من وصايا العُلماء والحكماء، ما جعلناه خاتمة له، فلنجعل آخر كلامنا ههنا.

ولئن كان سبقَ المملوك[1] فيما هو الغرض في هذا الكتاب عالم من الناس، وبيّنوه بضُروب من البيان، فإنّه يرجو أن يكون ما أودعه إيّاه نافعاً وزائداً في بيان ذلك، مسهّلاً لمأخذه، مؤكّداً له، ملخّصاً لمبسوطه، جامعاً لمتفرّقه، وهو يسأل من الكريم بسط عذرِه فيما قصّر فيه، وحمله على باطن الضمير دون ظاهر التقصير، فما زال استفراغ الوسع مقيلة للعذر، والاعتراف بوجوب الحق مانعاً من تطرّق العتب، بحمد الله وعونه وحُسن توفيقه.

(*) من إضافات المحقق.

(١) يعني المؤلف نفسه.

مراجع التحقيق

★★★★★★★★★★★★★★★★★★★★★★★★

١ - القرآن الكريم

٢ - أئمة الفقه التسعة - عبد الرحمن الشرقاوي - العصر الحديث للنشر والتوزيع - بيروت -١٩٨٥م

٣ - الأعلام (قاموس تراجم) - خير الدين الزر كلي - دار العلم للملايين - بيروت - الطبعة العاشرة ١٩٩٢م

٤ - البداية والنهاية - الحافظ ابن كثير الدمشقي - مكتبة المعارف - بيروت - الطبعة الثامنة ١٩٩٠م

٥ - تاريخ آداب اللغة العربية - جورجي زيدان - دار مكتبة الحياة - بيروت - ١٩٨٣م

٦ - الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير - جلال الدين السيوطي - دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة الرابعة

٧ - دائرة المعارف - بطرس البستاني - دار المعرفة - بيروت

٨ - الرد على المنطقيين ابن تيميه دار ترجمان السنة - لاهور - باكستان - الطبعة الرابعة -١٩٨٢م

٩ - فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء دار العاصمة للنشر والتوزيع - الرياض

١٠ - فتح المجيد شرح كتاب التوحيد - عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ - الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد - الرياض - ١٤٠٣هـ

١١ - القاموس الإسلامي - احمد عطية الله - مكتبة النهضة المصرية - ١٩٧٠م

١٢ - كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون - حاجي خليفة - دار إحياء التراث العربي - بيروت

١٣ - مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية -جمع عبد الرحمن بن محمد بن قاسم النجدي - الرئاسة العامة لشئون الحرمين الشريفين

١٤ - المعجم المفهرس في ألفاظ القرآن الكريم - محمد فؤاد عبد الباقي - دار إحياء التراث العربي - بيروت

١٥ - المعجم الفلسفي - جميل صليبا - دار الكتاب اللبناني - بيروت - ١٩٨٢م

١٦ - معجم المؤلفين - عمر رضا كحاله - دار إحياء التراث العربي - بيروت

١٧ - مقدمة ابن خلدون - دار الشعب - القاهرة

١٨ - المنجد في اللغة والأعلام - دار المشرق - بيروت

١٩ - الموسوعة العربية الميسرة - محمد شفيق غربال- دار الجيل - القاهرة - ١٩٩٥م

فهرس كتاب

سلوك المالك في تدبير الممالك

تحقيق: صاحب السمو الملكي الأمير

عبد العزيز بن فهد بن عبد العزيز

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

سيرة الإنسان

الركن الأول: الملِك

الركن الثاني: الرعية

الركن الثالث: العدل

الركن الرابع: التدبير

اختلاف الناس في سلوكهم وآرائهم ومذاهبهم وطباعهم على نماذج عدة

هذا الكتاب

كتاب سلوك المالك في تدبير الممالك

كتاب مشجر في صحة البدن والعقل مختصر وفي إصلاح النفس وتزكيتها وتقييم سلوكها معتبر.

كتاب يجمع طرفاً من وصايا الحكماء والفلاسفة والعلماء وبعض أحكام الأخلاق ودرجات الفضائل وأصناف السير.

وهو الكتاب الذي يوجز أقسام السياسات وإحكامها ويبين أهم أركان الملك وأوصاف البشر.

تجد فيه كل ذلك وغيره بأسلوب جميل مبتكر.

الناشر